

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم.

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مفكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في  
الفلسفة العامة وتعليماتها الموسومة بـ

# مقومات الحداثة عند المفكر طه عبد الرحمن

إشراف الأستاذة:

د / بن دنيا سعدية

إعداد الطالبة:

دواودي جهيدة

السنة الجامعية 2014 • 2015

# كلمة شكر

أتقدم بشكري الخالص للذي يستحق الشكر وحده

للّٰه سبحانه وتعالى وإلى الوالدين الكريمين

كما أقدم شكري إلى الأستاذة المشرفة بن دنيا سعدية

على ما علمتني به من نواحي وتوجيهات سديدة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بأسمى معاني الشكر والعرفان

والتقدير إلى كافة أعضاء لجنة المناقشة على

قبولهم مناقشة المذكرة، وإلى جميع أساتذة القسم وإلى

كل من قدم لي يد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع.

# الإهداء

إلى أئمن ما أملك في الدنيا، إلى سر نجاحي، إلى من بسطوا لي درب النور والضياء،

إلى من لا تحلو الحياة من دونهما إليك يا أعظم أم حفظك الله.

إلى مصدر قوتي ووجودي أبي العزيز أطل الله في عمرك، إلى جدي رحمه الله

إلى من شاركوني الحياة بأفراحها وأحزانها إخوتي وأخواتي نورة، زهرة، فضيلة،

هوارية، سفيان، مداني وزوجته، إلى جميع الأهل والأقارب.

إلى أساتذتي الكرام وأخص بالذكر الأستاذة الفاضلة "بن دنيا" إلى أعز الصديقات

إلى كل من يحملهم قلبي ولم يكتبهم قلمي.

الفهرس

الصفحة	العنوان
	. كلمة شكر
	. إهداء
أ	..... مقدمة عامة
01	..... الفصل الأول: ماهية الحادثة وتاريخها
02	..... * توطئة
03	* المبحث الأول: مفهوم الحادثة وبعض المصطلحات المتعلقة بها
12	المبحث الثاني: الجذور التاريخية للحادثة.
19	المبحث الثالث: الاسس الفلسفية للحادثة
27	خلاصة
28	. الفصل الثاني: موقف طه عبد الرحمن من الحادثة.
29	..... * توطئة
30	* المبحث الأول: نقد طه عبد الرحمن للحادثة الغربية
42	* المبحث الثاني: التطبيق الإسلامي لروح الحادثة
42	أ- مبادئ الحادثة عند طه عبد الرحمن
52	ب- نتائج التطبيق الإسلامي لروح الحادثة
56	* المبحث الثالث: الحادثة في ميزان الأخلاق
65	.
68	..... خاتمة عامة
72	..... قائمة المصادر والمراجع
76	.
	..... الفهرس

--	--

## خطة البحث

. مقدمة

. الفصل الأول: ماهية الحادثة وتاريخها

\* المبحث الأول: مفهوم الحادثة وبعض المصطلحات المتعلقة بها

\* المبحث الثاني: الجذور التاريخية للحادثة

\* المبحث الثالث: الأسس الفلسفية للحادثة.

. الفصل الثاني: موقف طه عبد الرحمن من الحادثة

\* المبحث الأول: نقد طه عبد الرحمن للحادثة الغربية

\* المبحث الثاني: التطبيق الإسلامي لروح الحادثة

أ- مبادئه

ب- نتائجه

\* المبحث الثالث: الحادثة في ميزان الأخلاق

. خاتمة

. قائمة المصادر والمراجع



## مقدمة عامة

تعد الحداثة من أكثر القضايا الحاضرة والمطروحة في المجال التداولي الفلسفي المعاصر، إذ شكلت مركزا للسجل والحوار بين مختلف المفكرين المندمجين في عالم الفكر، وتعتبر الحداثة مشروع فكري شامل يهدف إلى التغيير في المفاهيم والأفكار ويسعى إلى تطوير المجتمعات في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، والحداثة ترمز إلى عصر تقدم غير محدود، وتجعل من الإنسان مركزا وتعتبره أهم كائن في العالم الطبيعي وهو في نظرها رمز التطور والتحضر والتقدم، إذن هناك تبجيل وتمجيد للإنسان وهي تعبير عن إعلان العقل ثورته على كل ما هو سائد ومألوف وثابت وتجاوز كل ما هو قديم وهذا يعني أن الحداثة تمثل موقفا مناقضا ورافضا لكل ما يعتبر حاجزا وعائقا أمام تحقيق التقدم والازدهار، وقد صاحبت الحداثة تحولات كبرى شملت المعرفة، والتاريخ والطبيعة والإنسان، فالحداثة غربية الأصل بمعنى أنها لم تنشأ في بيئتنا العربية بل يعتبر الغرب نقطة البداية أي منبعها الأول إلا أن البحث فيها لم يكن مقتصرًا ومنحصرا على المجال التداولي الغربي، بل امتد إلى بيئات فكرية أخرى إذ كان له حضور في أدبيات الخطاب الفلسفي العربي المعاصر للغوص في مدى صلاحية أفكاره التي شاعت في مجتمعاتنا العربية.

ويعتبر المفكر المغربي وفيلسوف الأخلاق طه عبد الرحمن أحد أهم المفكرين العرب الذين عبروا بشدة وبقوة عن رفضهم التبعية ومجاراة أفكارها، حارصا على كشف وفضح النقائص التي تسبح فيها مبينا مساوئها وداعيا إلى إعادة النظر بدقة في هذا المفهوم ومحاولة تجاوز مآزق الحداثة الغربية وبناء حداثة إسلامية تتلاءم مع ثقافتنا ومقوماتنا الإسلامية.

وقد اخترنا هذا الموضوع لسببين أو هدفين الأول ذاتي والثاني موضوعي، أما الهدف الأول فيكمن في رغبتنا في الدراسة والتعمق أكثر في هذا المشروع الفكري الذي نفذ إلى بيئتنا العربية أي الحداثة، أما الهدف الثاني فيتجلى في

التوسع أكثر لأن الدراسات في هذا الموضوع قليلة إضافة إلى لفت الانتباه لمدى جدارة المفكر المغربي المجدد طه عبد الرحمن الذي أغنى الخزانة الفلسفية المغربية بخاصة والعربية بعامة بفضل جهده المتميز ومن خلال ما تقدم نطرح الإشكال التالي:

كيف عالج طه عبد الرحمن إشكالية الحداثة؟ وما هي الانتقادات التي وجهها للفكر الحداثي الغربي؟ وفيما تتجلى المبادئ التي اعتمدها لتأسيس حداثة إسلامية مفارقة للحداثة الغربية؟

وقد أدرجنا تحت هذه الإشكالية العامة الإشكاليات الفرعية التالية:

ماذا يقصد بالحداثة؟ وما هي جذورها التاريخية وفيما تكمن مبادئها؟ وكيف نظر طه عبد الرحمن للحداثة الغربية وما هي الانتقادات التي وجهها لها؟ وما هو الحل الأنسب في رأيه لتأسيس حداثة بديلة؟

واعتمدنا في هذا البحث على منهجين التاريخي والتحليلي، فالمنهج التاريخي يندرج من خلال تتبع كرونولوجية بداية الحداثة، والمنهج التحليلي يظهر من خلال تحليل أفكار طه عبد الرحمن الحداثية، أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتنا طيلة إنجازنا لهذا البحث تتمثل فيما يلي:

نقص المصادر والمراجع المتخصصة في هذا المجال.

وللإجابة عن الإشكالية المقترحة قمنا بتقسيم العمل إلى فصلين كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث، فالفصل الأول معنون "بماهية الحداثة وتاريخها" حيث خصصنا المبحث الأول لتوضيح مفهوم الحداثة وبعض المصطلحات

المتعلقة به والمبحث الثاني أدرجنا فيه الجذور التاريخية للحداثة، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى الأسس الفلسفية للحداثة.

أما فيما يخص الفصل الثاني الذي كان عنوانه "موقف طه عبد الرحمن من الحداثة" فقد تطرقنا في المبحث الأول إلى نقد طه عبد الرحمن للحداثة الغربية، وقد خصصنا المبحث الثاني للحديث عن التطبيق الإسلامي لروح الحداثة عند طه عبد الرحمن مركزين على مبادئ الحداثة عند طه عبد الرحمن ونتائج التطبيق الإسلامي لروح الحداثة، أما المبحث الثالث فأنحصر الحديث فيه عن الحداثة في ميزان الأخلاق عند طه عبد الرحمن.

وفي الخاتمة حاولنا الإجابة عن الإشكال المطروح ودونا النتائج التي توصلنا إليها.

# الفصل الثاني

توطئة:

تعتبر الحداثة من أهم المشاريع الفكرية التي نالت حظها من الاهتمام في العالم العربي نتيجة للتأثيرات الغربية حيث عالجها المفكرون العرب وأعطوها مجالا في دراساتهم، ومن بينهم الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن الذي يصنف ضمن خانة الحداثيين حيث أكد هذا الأخير على ضرورة قيام المجتمع الإسلامي بمسلك تحديتي غير مطابق لمسلك المجتمع الغربي، وفضلا عن ذلك يؤكد على أنه يجب أن لا نرفض الحداثة وإنما يجب إعادة النظر في هذا المفهوم ومن هذا المنطق نطرح الإشكال التالي:

ما هي الانتقادات التي وجهها طه عبد الرحمن للحداثة الغربية؟

وما هي مبادئ الحداثة ونتائج التطبيق الإسلامي لروح الحداثة؟

وماذا يقصد هذا الأخير بتخليق الحداثة؟

المبحث الأول: نقد طه عبد الرحمن للحداثة الغربية

يعتبر المفكر المغربي طه عبد الرحمن من بين المفكرين العرب الذين وجهوا انتقادات حادة للحداثة الغربية، حيث أكد أن هذه الأخيرة مالت عن الأهداف التي كانت تصبو إلى تحقيقها، حيث تطرق إلى تبيان النقائص والمساوئ التي احتوتها لتطوير الحداثة وتنظيم الفوضى والحرية المطلقة التي تسبب فيها.

وذلك من خلال سن مجموعة من المبادئ والضوابط لتنظيم الانقلابات الكبيرة وتهدئة القلق والمخاوف التي باتت تثيرها الحرية المطلقة للعقل والذي ينبغي أن يعقل هو الآخر ويقيد وإلا أفضى إلى نقيض مقصوده.<sup>1</sup>

وعلاوة على ذلك فإن كل مفكري المغرب على تباين مشاربهم دعوا إلى إعمال مبدأ النقد المزدوج في شأن الذات وأمر الغير بما صار معه، هذا النقد نقد الذات ونقد الغير موضعاً مشتركاً لذلك الفكر، حيث أنه قد يضعف نقد الذات حتى يكاد ينمحي عند طه عبد الرحمن ويشدد نقد الغير حتى يكاد يظلم ويعتم عنده.<sup>2</sup> وبناءً على هذا يتضح أن طه عبد الرحمن ركز اهتمامه بشدة لنقد الآخر أو الحداثة الغربية.

حيث يؤكد طه عبد الرحمن أن ثمة تحريفاً طراً على وجه الحداثة في التطبيق الغربي حيث أن هذا التطبيق أضمر مسلمات خفية وباطلة على سمات الحداثة الأساسية أدت إلى أن ينقلب مقصود الحداثة إلى ضده، فهذه الحداثة التي انبنت على رفض مبدأ الوصاية صارت تفرضها على غيرها، وهذه الحداثة التي أتت لإزهار الذات أزهرت ذات أهلها وأذبلت ذات الغير<sup>3</sup>، ويقصد من هذا كله أن الحداثة لم تحقق ما كانت تدلي به بل ضده، بحيث يغلب عليها الطابع الأناني.

<sup>1</sup> - عبد المجيد خليفي وآخرون، قراءات في مشروع محمد أركون الفكري، منتدى المعارف، بيروت ط1 - 2011 ص13

<sup>2</sup> - محمد سيلا عبد السلام بن عبد العالي، الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور عربي إسلامي، دار توبقال للنشر، المغرب ط1، 2006 ص61

<sup>3</sup> - محمد الشيخ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص2013.

وهذه الحداثة التي سعت إلى إشاعة روح النقد، نقدت كل شيء إلا أداة النقد نفسه أي العقل، وعقلت كل شيء إلا بما به عقلت وانتقدت كل شيء إلا أنها لم تبين حدود النقد ولم تنتقد ذاتها، وهي التي ادعت الانسلاخ عن الدين بالكليّة وصارت أخلاق الحداثة (كانط) الدنيوية أخلاقاً دينية خفية وهي التي تأتت للغرب وتصبغت بإرادته وصارت تدعي أنها قدر حتمي لا مرد له وصارت تطلب من الناس السكون تحتها، هذا مع العلم أن الإنسان صانع الحداثة من شأنه أن يكون أقوى من صنيعته وهذه التي جاءت لخدمة الإنسان توسلت إلى مبادئ شأن الحرية والعقل، استعبدت الإنسان للمادية الصرفة دون الروحية المعنوية واستتبعته وألحقته، وهي التي أخذت التنمية وسيلة لتحقيق القيم صيرتها غاية وأحالت القيم وسيلة<sup>1</sup>.

إلى جانب هذا يمكن القول أن الحداثة الغربية برأيه أضرت بالكيان الخلقى للإنسان، وتجلى هذا الضرر في مظاهر أفرزها هذا النمط الحضاري الحديث استوجبت الاستناد للأخلاق الدينية كأداة لنقد الحداثة الغربية وكوسيلة لاستيعابها، واستحلاب النافع منها من جهة أخرى.<sup>2</sup> وهذا يعني أن الحداثة الغربية جعلت الإنسان عبداً لها ونالها الاعوجاج الخلقى. هذا وعلى مستوى آخر، يرى الأستاذ طه عبد الرحمن أن الحضارة الحديثة حضارة ذات وجهين وهما حضارة عقل وحضارة قول، لكن الوجه الذي شغل الناس عموماً والمتفلسفة والحداثيين خصوصاً أكثر من الآخر إلى حد الافتتان به هو كونها حضارة عقل وتجلي هذا الافتتان في رفع الخاصية العقلية أو العقلانية إلى أعلى مرتبة من مراتب الإدراك الإنساني كما تجلّى في الميل إلى تخصيص أهل الغرب لها.<sup>3</sup> ويستند طه عبد الرحمن في تقويمه لوجهي الحداثة (الوجه العقلي والوجه القولي) على أخلاق الدين الإسلامي.

<sup>1</sup> - محمد الشيخ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد، مرجع سابق ص 213

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط1، 2010 ص168، ص171.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2002 ص59

بحيث تكون في نظره الحضارة الحديثة من حيث هي حضارة عقل حضارة ناقصة وتكون من حيث هي حضارة قول حضارة ظالمة<sup>1</sup>.

#### أ - النقص العقلي:

أكد طه عبد الرحمن أن هذه العقلانية التي وصفها بالنقص قائمة على أساس غياب التخلق الديني ونظره أن إمكانات الخروج من نفق التطور الحداثي المظلم لن يكون إلى من خلال نقد هذه العقلانية.

واللافت فيما حدث به طه عبد الرحمن عن العقلانية هو تعدد دلالاتها وتكاثر مفاهيمها، وتباين تصنيفاتها<sup>2</sup> وهو يرى في هذا السياق أن كل تعريف للعقلانية يستند على معايير عامة يجب أن يستوفيهها.

#### معايير تعريف العقلانية:

معيير الفاعلية: مقتضى هذا المعيار أن الإنسان يحقق ذاته بواسطة أفعال مجالها متسع ومتنوع، ويتجلى تحقق الإنسان بواسطة الأفعال فيما يتخذه من مختلف المواقف التي تحدد بمجموعها هوية سلوكه.

ويقصد طه عبد الرحمن أن الأفعال التي يقوم بها الإنسان من خلال مواقف معينة هي التي تثبت ذاته وإنسانيته.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص60

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقوز ، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي ، منتدى المعارف ، بيروت، ط2013، ص1، ص150.

معيار التقويم: ومقتضى هذا المعيار أن الإنسان لا يركن إلا ما هو كائن وما هو واقع، بل يسعى دوماً إلى أن يكون بقيم معينة تملئ عليه ما يجب أن يكون وما يجب أن يقع ومشدوداً إلى معاني تعلقو بممته إلى الخروج عن حاله الحاضر وابتغاء أحوال أخرى غيرها والشاهد على ذلك كونه لا يفتأ يطلب الكمال في كل أفعاله، فلا يصل إلى مرتبة حتى يطلب مرتبة فوقها.<sup>1</sup>

وهذا يعني أن الإنسان في سعي دائم إلى وضع قيم توجهه نحو ما يجب أن يكون عليه لأنه بطبعه غير راض على ما هو واقع ناهيك عن أنه دائم البحث عن تحقيق الكمال.

معيار التكامل: إن الإنسان كل متكامل لا يقبل التجزيء أو الانفصال بين أفعاله، فهو ذات واحدة يجتمع فيها النظر مع العمل وصفات العرفان مع صفات الوجدان.<sup>2</sup>

وإضافة إلى ذلك يؤكد طه عبد الرحمن انه ليس هناك عقلانية واحدة، وإنما هناك عقول كثيرة إذ يقول "وقد التبس الأمر على دعاة العقلانية من المحدثين فضنوا أن العقلانية واحدة لا ثانية لها، وأن الإنسان يختص بها بوجه لا يشاركه فيه غيره، وليس الأمر كذلك إذ العقلانية على قسمين كبيرين فهناك العقلانية المجردة من الأخلاقية، وهذه العقلانية المسددة بالأخلاقية، وهي التي يختص بها من دون سواه وخطأ المحدثين أنهم حملوا العقلانية على المعنى الأول وخصوا بها الإنسان".<sup>3</sup>

إذن تعتبر العقلانية من أهم سمات الحداثة الغربية، ومن حيث هي عقلانية ناقصة ولا صلاح الخلل والفساد الذي نالها يتطرق طه عبد الرحمن إلى نقد تعريف كل من أرسطو الذي كان له الأثر الكبير على الفكر الإسلامي وكذلك التعريف الديكارتي باعتباره فارس الحضارة الغربية.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص62

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقروز ، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي الحداثي ، مرجع سابق ص35

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر السابق ص62

التعريف الأرسطي: يقرر أرسطو أن العقل عبارة عن جوهر قائم بالإنسان يفارق به الحيوان ويستعد به لقبول المعرفة<sup>1</sup>، ويورد أرسطو تعريفاً آخر للعقل إذ يقول "وأعني بالعقل ما به تعقل النفس وتتصور المعقولات ليس شيئاً بالفعل قبل أن يعقل"<sup>2</sup>، ويميز في كتابه النفس بين عقل نظري وعقل عملي، الأول وهو الذي يقع على الضروريات في حين الآخر غايته معرفة المحتملات.<sup>3</sup>

وهذا يعني أن العقل جوهر أو ملكة يتميز به الإنسان عن الحيوان ويمكنه من تحصيل المعرفة اليقينية ومن خلال تطبيق معايير العقلانية على التعريف الأرسطي يرى طه عبد الرحمن أن أرسطو جعل من العقل جوهرًا بينما في نظره الحقيقة ليست كذلك بحيث العقل عنده يكون فعل من الأفعال أو سلوكًا من السلوكات، فهذا التعريف يخلّ بمعايير العقلانية.

### التعريف الديكارتي للعقل:

معناه هو استخدام المنهج العقلي على الوجه الذي يتحدد به في سياق ممارسة العلوم الحديثة ولا سيما الرياضية منها.<sup>4</sup>

والعقل عند رنيه ديكارت هو أعدل قسمة بين الناس جميعاً يمتلكه كل البشر، وليحكم طه عبد الرحمن على هذا العقل يتساءل هل العقل الحدائري الديكارتي يستجيب لمعيار التقويم الذي يرتبط بالمقاصد ومعيار الفاعلية الذي يتعلق بالوسائل وكذلك معيار التكامل الذي يرتبط بالنفع في المقاصد والنجوع في الوسائل يجيب الأستاذ

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص62

<sup>2</sup> - ماجد فخري ، قادة الفكر ، أرسطو طاليس المعلم الأول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت دط، ص158

<sup>3</sup> - أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، درا قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط ، ص232

<sup>4</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص214

طه عبد الرحمن : أن المنهج العقلي العلمي يتصف بصفات ثلاث هي النسبية\* والاسترقاقية والفوضوية، ويقصد بالاسترقاقية بأن الإنسان المعاصر يعتقد بأن التقنية ستكون سبيله إلى تحقيق السعادة والخير للبشرية جميعاً لأن هذه المنجزات التقنية ستمكّنه من تسخير الكون وتوجيهه حسب حاجاته ووفق قيمه لكن هذه الآمال الزاهية بعيدة كل البعد عن التحقق 1 وذلك ما دام يستند إلى مبدأين كل شيء ممكن لدى التقنية بلا وازع مما يؤدي إلى أن تستبيح الآلة كل شيء في الإنسان. 2

وهذا المبدأ يصفه طه عبد الرحمن باللاعقلاني أما المبدأ الثاني مبدأ لا أخلاقي ومقتضاه أن كل ما كان ممكناً وجب صنعه ويقصد بهذا تجاوز كل الموانع الأخلاقية التي تمنعك من ذلك.

كما أن هذا العقل الحدائثي يدعو إلى سيادة النزعة الفوضوية في النظريات العلمية وإلى تهاوت هذه النظريات لا إلى تكاملها.

وهكذا يتضح لنا من النظر في مقاصد المنهج العقلي العلمي الحديث أن هذا المنهج قد يطلب النسبية والتفاضل بدل الوحدة والتكامل ويطلب الاسترقاق بدل التحرير ويطلب الفوضى بدل النظام. 3

\* النسبية: الاعتقاد السائد بأن قوانين التي يختصّ المنطق بدراستها هي قوانين مشتركة وكلية وواحدة عند جميع العقلاء، بيد لو أننا تأملنا في تاريخ هذا العلم وفي واقعه لتبيننا بطلان هذا الاعتقاد ذلك أن علم المنطق صار يشتغل بصنوف متكاثرة من القواعد والمسلمات وبضروب متغايرة من الأنساق التي تبني على هذه المسلمات والقواعد. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل \_ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص44

1- طه عبد الرحمن ، العمل الديني وتجديد العقل ، المصدر نفسه ص 45

2- محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص214

3- طه عبد الرحمن ، العمل الديني وتجديد العقل ، المصدر السابق، ص45

ومن كل هذا نستنتج أن العقلانية الغربية عقلانية ضارة بالإنسان لا تلتزم بمبادئ العقلانية السلمية التي تنص على تحقيق النفع، فوسائل المنهج العقلي العلمي تتكلف الموضوعية تكلفا لا يتحقق بها، بمعنى أنها تدعي الالتزام بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية، لكن الحقيقة غير ذلك إضافة إلى ذلك فإن المنهج العقلي العلمي يجمد على الأمر الظاهر المقيد بالزمان والمكان جمودا فلا يفتح على ما لا يظهر ولا يستشرف أمر ما لا ينكشف بكاشف آلي وهذا يعني أن هذا العقل يركز على ظواهر الأشياء لا يهتم بالأشياء الباطنية وعلاوة على ذلك يعتمد على اتخاذ الوسائط بمعنى يكثر من الوسائط المادية ويحكمها في كل شيء، إذن فلا نفع في منهج الحداثة ولا سداد فيه أيضا إنما عقلانية الحداثة عقلانية تخلو من اليقين في نفع المقاصد ومن السلامة في أعمال الوسائل، وعقلانية هذا شأنها لا بد أن تنقلب ضررا على الإنسان.<sup>1</sup>

#### ب- الظلم القولي:

ومن جهة قولانية الحداثة فإن الملاحظ أن الحداثة أورثت الإنسان طوفان من الأقوال.<sup>2</sup> طوفان تعطي هوله وتخفي فداحته أسماء مختلفة تغري بظاهر دلالتها من نحو انفجار المعلومات وثورة الاتصال وانعتاق الكلمة وسيادة القلم وسلطان العقل وتداول المعرفة وعملة الإعلام" وهذا يعني أن "الحضارة الحديثة غلبت جانب القول والكلام في لباسه الإعلامي أو القولاني على جانب الفعل فأنقص من قيمته مضيق في مجاله وجمدت حاله على النطاق الشخصي الذي لا يتعداه حتى استحقت وصف الظلم القولي بامتياز.<sup>3</sup>

وعلاوة على ذلك يضيف طه عبد الرحمن بأن الحضارة الحديثة ظلمت الإنسان حيث أنها أضرت بالكيان الخلقى للإنسان ونحض بالذكر من وجوه هذا الضرر ثلاث آفات أساسية:

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مصدر سابق ص 214

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص 77

<sup>3</sup> - عبد الرزاق بلعقروز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح ، مرجع سابق ص 168

1- آفة التضييق:

لما اشتد أثر القول واتسع مجاله ونفذ فيما لم يكن فيه نافذاً أو لم يكن من حقه النفوذ فيه اقتحم على الفعل موطنه وغصبه سلطانه فيه، فضاقت رقعة الأخلاق ضيقاً وانقبض افقها انقباضاً بحجة أنه لا أخلاق في القول النظري أو لا أخلاق في المعرفة ويقصد بهذا بأن تضييق ميدان الأخلاق سببه اتساع مجال الأقوال على حساب الأفعال.<sup>1</sup>

2- آفة التجميد:

ومعناها أن حضارة القول قهرت الأخلاق على الجمود على حالة واحدة فيما تبقى لها من مجال ضيق وضعيف، وفي هذه الدائرة يتم عزل الأخلاق عن المجالات العامة التي تنظم الاجتماع البشري بدعوى أن الأخلاق لا تصلح لتنظيم الأفعال، حال اجتماع الناس فيما بينهم<sup>2</sup>، وهنا يقصد بأن الأخلاق تفقد الصلاحية في تنظيم الأفعال الجماعية عكس حال انفراد الناس ومن خلال هذا يتبين لنا أن فائدة الأخلاق تنحصر في نطاق الصالح الخاص ولا يوجد أفضل من القول القانوني والقول الاجتماعي بتنظيم أفعال الجماعة. وإذا وقع الاستغناء بالقول القانوني والقول الاجتماعي عن الفعل الخلقى فلا مناص أن تتعرض الأخلاق للقصور والجمود.

آفة التنقيص:

ويقصد به التنقيص من شأن الفعل الخلقى وفائدته، حاكمة عليه بنقيص مقصوده ومستبدلة مكانه ما هو ضده، فالأخلاق لا تخدم إلا الضعف في النفس والخذلان في السلوك بينما كان غرضها هو أساساً أن تخدم

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق-ص 78 79

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقروز ، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي ، مرجع سابق ص 37

القوة في الروح والإقدام على العمل كما أدى هذا الفيض اللفظي الهائل إلى الاعتقاد بأن القول السياسي هو أحق بتذكية الشعور ونفخ الروح في الإرادة وإذا كان الفعل الخلقى لا ينشغل بتقوية السلطان بقدر ما ينشغل بتزكية الوجدان، فإن القول السياسي الذي أثمرته حداثة القول لا هم له إلا ابتغاء الرئاسة ومحبة السلطان.<sup>1</sup>

ويعني طه عبد الرحمن بقوله هذا بأن حضارة القول أنقصت من قيمة الفعل الخلقى وجعلته منبوذا وبالتالي أسقطت من منزلته.

### ج - التسلط التقني:

وللحداثة شقين اثنين معرفي وتقني، بحيث لم تكتف الحداثة بفتنة العقلانية، بل تأدت إلى فتنة التقنية، ومن حيث كانت الحداثة حضارة معرفة فإنها حضارة متأزمة ومن حيث كانت حضارة تقنية فإنها حضارة متسلطة.<sup>2</sup>

إذن الحداثة متأزمة من الناحية المعرفية بالنسبة لطفه عبد الرحمن لأنها قامت على مبادئ أفصت الأخلاق من العلم وهذا يعني أنه لا أخلاق في العلم مما ترتب عنه أزمة في الصدق\*، أما المبدأ الثاني لا غيب في العقل، وقد ترتب عن هذا الأصل أزمة في القصد ما دام أنه لا قصد من وراء العلم، ومن أوصاف هذه الأزمة أي القصد أنها لا يعينها أمر التعلق بأفق الغيب ولا يعينها أمر الوصول إلى اليقين فيه، لذا لا مهرب من الاعتراف أن

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص79

<sup>2</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص215

\* - الصدق: مفاده انه لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيركن وتقضي ممارسة الصدق قواعد ثلاث: الصدق في الخبر وهو أن يحفظ المتكلم لسانه عن إخبار المخاطب بأشياء على خلاف ما هي عليه، والصدق في العمل هو أن يصون سلوكه عن إشعار المخاطب بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به، ومطابقة القول للعمل و هو أن يحفظ لسانه وسلوكه عن إشعار المخاطب بوجود تفاوت بينهما. أنظر طه عبد الرحمن - اللسان والميزان - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 -1998 ص251.

الملجأ الوحيد هو الأخلاق المستمدة من الدين والغيب المستمد من الوحي ولا بديل سواهما.<sup>1</sup>

وهكذا نستنتج أن النمط المعرفي الحديث عاش أزمتهين أولهما أزمة في الصدق وهذا ناتج عن كونه لا يعنى بتخليق العلم بمعنى قام بفصل الأخلاق عن العلم إضافة إلى أزمة القصد الناتجة عن عزل العقل عن الغيب وهذا معناه أن المناهج العقلية لا تحمل صاحبها على التطلع على الغيب مما يجعلها حضارة متأزمة معرفياً.<sup>2</sup>

ومن حيث كانت الحداثة حضارة نظام علمي . تقني فقد قامت على تحصيل القدرات الإمكانية والتمكينية أما الإمكان فهو الأفق المعرفي غير المسبوق الذي يفتحه كل إجراء بسبب ما ينتج عنه من جديد الفوائد في مجال التدليل والتنظير، أما التمكن فهو الباب العملي غير المعهود الذي يفتحه كل إجراء بسبب ما ينتج عنه من جديد الآثار في مجال التطبيق والتغيير فيكون بذلك الفرق بين الإمكان والتمكن هو أن الإمكان تعلق بالنظر بينما التمكن تعلق بالعمل متوسلة في ذلك بالتجريب والترويض.

أما التجريب هو عبارة عن طريقة عملية<sup>3</sup> حيث يقوم التجريب على مراحل الملاحظة ثم بعد ذلك اختبارها بواسطة تجارب إما بالتصديق أو التكذيب ثم المرحلة الأخيرة التي تتمثل في الوصول إلى قانون علمي.

أما الترويض: هو طريقة نظرية أهم مراتبها ما يلي:

انتزاع الصور النبوية والعلاقات الكمية ثم ترتيبها متصلة من مقدمات يقينية للتوصل إلى نتائج دقيقة، ثم محاولة تعميم هذا النموذج المعرفي الذي أثبت نجاحه في العلوم الكمية، وعلى باقي مناطق المعرفة الإنسانية.<sup>4</sup>

1 - عبد الرزاق بلعقروز ، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي، مرجع سابق ص42

2 - الرزاق بلعقروز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح ، مرجع سابق ص198

3 - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص115

4 - عبد الرزاق بلعقروز ، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي ، مرجع سابق ص 46

وبسبب كل من الإمكان والتمكين يتحقق للإنسان مبدأ السيادة \* على الكون والسيطرة عليه حيث نتج عنه سيادات ثلاث سيادة التنبؤ وسلطان السطوة: فالتنبؤ هو عبارة عن السيادة على آفاق الإمكان النظري وأبعاد التمكين العملي، وسيادة التحكم الذي تكسبه عقلانية التنظيم ويمكن من سلطان البأس وسيادة التصرف الذي تكسبه عقلانية الانتظام ويمكن من سلطان البطش.<sup>1</sup>

ويمكن القول أن هذه المراتب الثلاث لعقلانية النظام العملي والتقني إنما تدعو إلى مبادئ سلوكية تضر بالأخلاق الدينية، إضافة إلى ذلك ما يمكن استنتاجه أن التقنية جعلت من الإنسان عبداً لها وأداة وظيفية لخدمة إرادتها.

وترى بأن الأخلاق عائق أمام التطور العلمي والتقني، وهكذا أصبح العلم متسلطاً ومتحكماً في كل شيء.

والحقيقة أن العلم لا يفكر كما يقول هيدغر، وحده الإنسان الذي يفكر سواء عبر العلم أم عبر أنشطته النظرية والعملية المختلفة وأمام هذا كله لا عجب أن تنتهي المقاربة الطاهائية للحداثة الغربية إلى أنها حادثة ناقصة عقلاً وظالمة قولاً ومتأزمة معرفة ومتسلطة تقنية.<sup>2</sup>

\*- السيادة: من السيد ويستعمل مصطلح السيد في مقابل مصطلح التعبد باعتباره مشتقاً من اسم السيد، ويبدو أن لفظ السيد يؤدي بدقة معنى الكلمة اللاتينية "Dominuim" التي اشتقت منها كلمة "Domination" إذ تجمع إلى مدلول التسلط مدلول التملك، أنظر طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الانتماية - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2- 2012 ص94

1- عبد الرزاق بلعقروز، أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي، مرجع سابق ص 47 .

2- عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، مرجع سابق ص 169.

فهذه الحداثة رامت ما رامته وتوسلت إلى مشاريع أدت إلى أمور ثلاث، الانفصال عن التراث والمقصود به إلغاء حرمة التراث أكان تراثا دينيا أو ثقافيا أو سياسيا أو اجتماعيا، والانفصال عن الطبيعة واستعبادها وجعلها للإنسان ذليلة، والانفصال عن الحيز الجغرافي والفيزيائي معاً.<sup>1</sup>

وعليه فإن الحداثة في منظور طه عبد الرحمن حطت من قيمة الإنسان وأضرت به من جميع النواحي العقلية والمعرفية والتقنية حيث حققت عكس ما كانت تهدف إليه إلا أن النقد الذي وجهه طه عبد الرحمن لها غرضه ليس الهدم وإنما إعادة البناء لتطوير وإصلاح الحداثة.

---

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص،ص 217-218

المبحث الثاني: التطبيق الإسلامي لروح الحداثة

أ- مبادئ الحداثة عند طه عبد الرحمن:

إن التعاريف التي وضعت لمفهوم الحداثة كثيرة ومتنوعة فقد عرفها الجمهور بأنها فعل حضاري يخص مكانا معيناً وزماناً معيناً، هذا المكان هو أقطار الغرب التي توسع سلطانها حتى شمل العالم كله، وهذا الزمان هو حقبة تاريخية تمتد عند بعضهم على مدى خمسة قرون كاملة بفضل حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني ثم حركة الأنوار والثورة الفرنسية، تليها الثورة الصناعية... إلخ، في حين يرى غيرهم أن هذه الحقبة أدنى من ذلك حتى نزلوا بها إلى قرنين فقط.<sup>1</sup>

وعرف بعضهم الآخر الحداثة بصفات طبعت بقوة عطائها هذه الحقبة مع اختلافهم في التعبير عن هذه الصفات وعن أسبابها، فمن قائل أن الحداثة "هي النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر" ومن قائل أنها ممارسات السيادة الثلاث "السيادة على الطبيعة والسيادة على المجتمع والسيادة على الذات بل نجد بعضهم من يقصرها على صفة واحدة فيقول " أنها قطع الصلة بالتراث أو أنها قطع الصلة بالدين أو أنها العلمانية أو أنها مشروع غير مكتمل.<sup>2</sup>

وعليه نجد أن مفهوم الحداثة مفهوم حضاري من الصعب تحديده بدقة إذ نلاحظ اختلاف وتعدد التعاريف كون هذا المفهوم شمولي يضم كل مستويات الوجود الإنساني.

ولرفع اللبس الذي يكتنف مفهوم الحداثة يقدم طه عبد الرحمن وهو من أهم وأبرز المفكرين العرب الذين بحثوا هذا المفهوم تعريفاً لها إذ يقول: فمن الحداثة أن لا نقلد الحداثة، وإلا صارت إلى ضديدها، أي صارت تقليداً

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، الحداثة والمقاومة - معهد المعارف الحكيمة للدراسات الدينية والفلسفية، دم، ط1، 2007 ص21

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، المركز الثقافي العربي، المغرب ط1 ، 2006 ص25

وهي الحداثة، إنما الحداثة تجديد لا تقليد وإنما المقلد إذا قيل له من أين لك هذا يقول سمعت الغير يقوله فقلته، ولذلك فإنه لأن يكون المرء حدثياً معناه ألا يقلد الحدائى فى شىء من أمره وإلا انقلب هو إلى مقلد.<sup>1</sup>

وذلك مؤداه أن الحداثة لا تعنى التقليد بل تعنى التجديد والإبداع لا الإلتباع، فتقليد الآخريين فى أقوالهم وأفعالهم تقليد خالص فى نظره، ومن شأن الحداثة أنها لا تقبل التقليد، فكل مبدع حدائى وكل مقلد غير حدائى، وحتى لو قلد الحداثة فقد تحقق أن الحداثة لا يمكن أن تكون إلا إبداعاً وأن ما من تقليد لها إلا وهو نسخ وما من نسخ لها إلا وهو مسخ.<sup>2</sup>

إنما شأن التقليد أن يفترض النموذج، والنموذج هنا يصير أوحداً وهو النموذج الغربى بالتعيين، وبالبديل أن يصير الحدائى حدثياً على الحقيقة فإنه يصير مجرد ناقل للحداثة مع أنها ما كانت هى نقلاً وإنما إبداعاً هى كانت وفى الجملة ما التذرع بالحداثة إلا منتهى المحاكاة، فما يدعيه المثقف العربى من انخراط فى الحداثة إن هو إلا آية فى التقليد والقدامة.<sup>3</sup>

فالحداثة هى تشكل للأوطان فى حدود جغرافية واضحة (الدولة - الوطن) ولكنها مقرونة بالرأسمالية والليبرالية التى تطلب البقاء فى الحدود وفتح الباب للبضاعة وتصدير الرأسمال من الشمال إلى الجنوب وهو ما يسمى بالامبريالية بمعناها الدقيق وهنا نرى أن البشر لا يحترم كبشر أو كإنسان لان الحداثة تحوله إلى رقم أو إحصاء بحث كم أنتم؟ كم تسكنون؟ وهل تلائم هذه النسب الرأسمال الأمريكى أم لا؟ ولا مجال هنا للفلسفة والأخلاق بينما الإنسان آية قبل أن يكون آلة.<sup>4</sup>

1 - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص208.

2 - المرجع نفسه الصفحة نفسها

3 - المرجع نفسه ص 209

4 - محمد آيت حمو ، أفق الحوار فى الفكر العربى المعاصر ، دار الأمان، الرباط ط1 -2012 ص197

ويقول طه عبد الرحمن أيضا عن الحداثة " الحداثة ليست سوى ظاهرة تاريخية عارضة، والظواهر كما تأتي تفتي أما هممة الإنسان فهي حقيقية باقية ببقائه وعلاوة على ذلك يقول أيضا " وقد كررت في كتبي القول بأن الحداثة ليست هي تقليد الغير في قوله وفعله، وإنما الإتيان بما يضاهاه ما عند الغير إنتاجا وإبداعا وأظن أنني ما سعت في كتبي المختلفة إلى أن أكون حدثيا إلا بهذا المعنى".<sup>1</sup>

وهذا يعني أن الحداثة عند طه عبد الرحمن تكمن في التجديد والإبداع الذاتي لا الإتيان والتقليد.

لقد لاحظ الأستاذ طه عبد الرحمن أن الغالب على تحديد الحداثة التباين وهو التباين في التحقيق لها فمن قائل أنها حين من الدهر أتى على الناس منذ عهد التنوير ولا زال يفعل إلى قائل أن لا حداثة إلا بعد الثورة الصناعية وهو ثانيا تباين في توسيمها ما بين قائل أنها عهد محو القداسة عن العالم بتعويله التعويل كله الذي لا يترك حضا للسحر أو الأسطورة أو الدينونة وذلك بخروج للعالم من عالم مسحور إلى عالم لا سحر فيه وذلك بحيث صار مقتدرا على معرفة العالم والتنبؤ بأحواله وإخضاعه لغاياته.<sup>2</sup>

الملاحظة على هذه التعاريف على اختلاف قوة إحاطتها بمفهوم الحداثة أنها تقع في تهويل هذا المفهوم حتى تبدو الحداثة وكأنها كائن تاريخي عجيب يتصرف في الأحياء والأشياء كلها تصرف الإله القادر بحيث لا راد لقدرة والحال أن هذا التصور للحداثة تصور غير حدثي لأنه ينقل الحداثة من مفهوم عقلي إجرائي إلى شيء وهمي مقدس.<sup>3</sup>

فهذه تعاريف الجامع بينها شدة تهويلها مما أرادت هي توسيمه، وتوصيفه والحال أنه بالبدل من أن يوجب هذا

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق، ص 201.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص208- ص209

<sup>3</sup> - المرجع نفسه الصفحة نفسها

التعريف للحداثة لهؤلاء المقلدة تهويلا فيطلب غيره وغيرها، أوجب لهم بالضد من ذلك تأميلا وما هذا التوسيم التهويلي أن هو حقق أمره إلا ضرب من التوثين وكاننا بالحداثة كائنا تاريخيا عجيبا يتصرف في باقي الكائنات بضرب من القدرة خارق وبمضمون من النظر غريب والحق أن هذه التعاريف لئن هي أدت إلى تشيء الحداثة بحيث صيرتها وكأنها شيء أو بالأحرى أدت هي إلى تسحير الحداثة وكأنها سحر وهي التي رامت أن تنزع عن العالم السحر.<sup>1</sup>

### مبادئ الحداثة:

يطرح طه عبد الرحمن التساؤل المهم التالي ما السبيل للخروج من هذا التشيء للحداثة؟

ويجب لاسيل لتحقيق ذلك إلا بإحداث تحقيقات وتدقيقات وبادئتها التمييز في أمر الحديث عن الحداثة بين الأواني والمعاني أو قل الابتدار إلى المباينة بين تطبيقات الحداثة أو واقع الحداثة وروح الحداثة.<sup>2</sup>

وروح الحداثة هي عبارة عن مبادئ ثلاث.<sup>3</sup>

مبدأ الرشد: ومقتضى هذا المبدأ أن الأصل في الحداثة الانتقال من حال القصور إلى حال الرشد والمراد بالقصور كما جاء في جواب كانط عن سؤال " ما هي الأنوار؟" هو عدم قدرة المرء على استخدام فكره في الأمور دون إشراف الغير عليه مع وقوع مسؤولية هذا القصور عليه هو لا على هذا الغير.<sup>4</sup>

والقصور يعني عجزه عن استعمال عقله دون إشراف الغير، قصور هو نفسه مسؤول عنه لأن سببه يكمن ليس

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 209

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص 210.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن ، الحداثة والمقاومة ، مرجع سابق ص 22

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية ، المصدر السابق ص 25

في عيب العقل بل في الافتقار إلى القرار والشجاعة في استعماله دون إشراف الغير.<sup>1</sup> أو قل بإيجاز أن القصور هو اختيار التبعية للغير.

بالإضافة إلى ذلك فإن مبدأ الرشد يعني أيضا تجاوز حالة الوصايا والتبعية بأشكالها المختلفة نحو حالة من الاستقلالية التي يفتح من خلالها الإنسان آفاق الإبداع\*، أمامه فيما يفكر ويقول ويفعل على أساس قيم جديدة يكون هو منشأها ابتداءً أو استنزافاً.2، ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن لفظ الإبداع لغة معناه: "إخراج الشيء إلى حيز الوجود أي إحداث الشيء، ويفيد اصطلاحاً أولاً في علم الكلام: إحداث الشيء على غير مثال سابق ويكون مرادفاً لمفهوم الابتكار وثانياً يعني في مجال الفلسفة العربية إحداث شيء من لا شيء فيكون مرادفاً للاختراع"<sup>3</sup>

من خلال ما سبق يتحلى لنا بوضوح أن مبدأ الرشد يعني خروج الإنسان من مرحلة القصور والتبعية للغير إلى مرحلة البلوغ لتحقيق التحرر والاستقلالية.

وقد تتخذ التبعية أشكالاً مختلفة:

أحدهما **التبعية الاتباعية**: وهي أن يسلم القاصر قياده عن طواعية لغيره ليفكر مكانه حيث كان يجب أن يفكر هو بنفسه.<sup>4</sup>

والثاني **التبعية الاستنساخية**: وهي أن يختار المرء بمحض إرادته أن ينقل طرائق ونتائج تفكير غيره وينزلها بصورتها الأصلية على واقعه وأفقته.

<sup>1</sup> - محمد سيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الحداثة، مرجع سابق ص44

<sup>2</sup> \_ قاسم شعيب، فتنة الحداثة، صورة الإسلام لدى الوضعيين العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص45.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن - الحق العربي في الاختلاف الفلسفي - المركز الثقافي العربي، المغرب ط2 - 2008 - ص114

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المصدر السابق ص25

وهذا يعني أن المرء حينما يتأثر بالآخر ينتهج طريقة تفكيره كما هي ويحاول تطبيقها في واقعه.

والثالث التبعية الآلية: وهي أن ينساق القاصر من حيث لا يشعر، إلى تقليد غيره في مناهج تفكيره ونتائجه

لشدة تماهيه مع هذا الغير.

من هنا يتبين أن مبدأ الرشد مبناه على ركنين أساسيين:

"الاستقلال" أو "التحرر" و "الإبداع" أو "التفنن".<sup>1</sup>

- أولهما الاستقلال، يستغني الإنسان الراشد عن كل وصاية فيما يحق له أن يفكر فيه ويصرف كل سلطة

تقف دون ما يريد أن ينظر فيه فتنتقل بذلك حركتين ولا يكتفي هذا الإنسان بالانفصال عن ما يحول دون

ممارسة حقه في التفكير، بل إنه يتطلع إلى أن يشرع لنفسه ما يجب فعله أو تركه فترسخ بذلك ذاتيته وهكذا

فالإنسان الراشد منطلق الحركة قوي الذات.<sup>2</sup>

انطلاقاً من قول طه عبد الرحمن هذا يتضح أن الإنسان الناضج يمارس حقه في التفكير بكل حرية، فالإنسان

يملك الاستقلالية في التصرف إذ يقوم بما يجب فعله ويتعد عما لا يجب فعله

والركن الثاني الإبداع: يسعى الإنسان الراشد إلى أن يبدع أفكاره وأقواله وأفعاله وكذا أن يؤسس هذه الأفكار

والأقوال والأفعال على قيم جديدة يبدعها من عنده أو على قيم سابقة يعيد إبداعها حتى كأنها قيم غير

مسروقة ومتى علمنا أن مفهوم الإبداع لا يقتصر بمجال الأدب والفن، لا نستغرب أن يرتبط ظهور فكرة الحداثة

بتطور هذا المجال، بل لا نستغرب أن ينشأ في القرن التاسع عشر مذهب في الأدب والفن عرف بالنزعة

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 211

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، مصدر سابق ص26

2- مبدأ النقد: مقتضى هذا المبدأ هو أن الأصل في الحداثة هو الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد، والمراد بالاعتقاد هنا هو التسليم بالشيء من غير وجود دليل عليه ومقابله وهو الانتقاد فيكون حده هو المطالبة بالدليل على الشيء كي يحصل التسليم به،<sup>1</sup> وهذا يعني أن هذا المفهوم يقوم على عدم التسليم بصحة الشيء دون تقديم الدليل، غير أن هذه الممارسة للنقد وإن كانت تحمد لها يقظتها حتى صار مفهوم النقد يؤخذ في حد الفلسفة فيقال " أن الفلسفة هي ممارسة النقد" ويلزم لأن يكون للنقد الفلسفي نهاية يقف عندها ولا يكون له ازدياد بعدها متى بقي هذا النقد يطلب التمسك بمعيار العقلانية.<sup>2</sup>

وهذا المبدأ بدوره يقوم على ركنين :

التعقيل أو العقلنة: مقتضاه إخضاع ظواهر العالم ومؤسسات المجتمع وسلوكات الناس إلى التعليل المنطقي والطبيعي" وذلك بالاستناد إلى مبادئ العقلانية \* التي تقوم على الحساب والتنبؤ والتجريب والتقنين والتطبيق"والعقلانية بحسب طه" تقتضي منا أن نعمل بالأحكام المتناقضة إذا توافرت لنا الأسباب لقبول كل واحد منا ولو تمهلنا الضرورة العلمية إلى أن نكشف سبيلا لحذف بعض عناصر هذه الأحكام حتى يرتفع التناقض ويحصل الاتفاق<sup>3</sup> ويقول طه عبد الرحمن "إذ بفضل هذه المبادئ نتمكن من أن نحقق على التدرج

1 - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة، مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، مصدر سابق ص26

2 - طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1 ، 1995 ص178-ص179

\* العقلانية: الالفت فيما حدث به طه عبد الرحمن عن العقلانية هو تعدد دلالاتها وتكاثر مفاهيمها وتباين تصنيفاتها والسبب الكامن وراء هذه المواصفات المفهوم الذي يتبناه طه عبد الرحمن للممارسة العقلية بما هي ممارسة لا تنتقل من اعتبار العقل جوهرًا ثابتًا قائمًا بالإنسان محله عضواً مخصوص، إنما العقل ممارسة لا تنتقل بنفسها، عبد الرزاق بلعقوز- أزمة الحداثة وهانات الخطاب الإسلامي-مرجع سابق-ص150، ولا يخفى على أحد ما قد يوقع فيه خطاب العقل من شبهات فكرية وعقدية كأن يرسخ عندنا الاعتقاد بان العقل ذات مستقلة كما لو كانت حقيقتها غير حقيقة الإدراك ، طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2 -2000 ص145

3 - عبد الرزاق بلعقوز، المساءلة النقدية لآليات العقلانية لدى أركون والجابري نموذج طه عبد الرحمن، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية-العدد

أشكالا مختلفة من التقدم والتطور في الإحاطة بهذه الظواهر والمؤسسات والسلوكات والموروثات، وقد اتخذ هذا التعقيل الحداثي أفضل صورته في كل من العلوم الطبيعية والبيروقراطية أو التكنوقراطية وكذا الرأسمالية أو اقتصاد السوق وبلغ ذروته في ما أصبح يعرف باسم العلم، التقنية إذ عاود أمام المبادرة فيه بيد التقنية لا بيد العلم إذ أضحت هي التي تخطط له إستراتيجيته وتحدد له مساره، وفي هذا الصدد يعني طه عبد الرحمن بالتعقيل ضرورة أعمال العقل في كل الأمور بمعنى إخضاع كل شيء للعقل ومبادئه.

**والركن الثاني: التفصيل أو التفريق:** المراد بالتفصيل هنا نقل الشيء من صفة التجانس إلى صفة التباين، بحيث تتحول عناصره المتشابهة إلى عناصر متباينة وذلك من أجل ضبط آليات كل عنصر منها<sup>1</sup> هذه الصفة التي طبعت الحداثة تدرك تظاهراتها التفصيلية مثلا في ميدان الثقافة حين يجري تشطيرها إلى دوائر القيم النظرية والعملية والرمزية وعلى صعيد المعرفة يتجلى التفريق بين دوائر العلم والقانون والأخلاق والفنون.<sup>2</sup>

"ويقصد طه عبد الرحمن بهذا الركن تحول الأشياء المتجانسة ومشابهة العناصر إلى أشياء متميزة ومتفرقة وذلك بهدف التمييز بين الأشياء"

ورأينا أنه يجوز في هذا الباب كذلك فصولا أخرى اقترنت بالحداثة مثل الفصل الذي تأسس عليه مبدأ العلمانية وهو الفصل بين الدين والدولة والفصل بين الدين والأخلاق والفصل بين الدين والعقل والفصل بين الأخلاق والسياسة... إلخ.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، مصدر سابق ص 28

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقروز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأويلات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق ص172

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، مصدر سابق ص28

وعلاوة على ذلك فإن مقتضى هذا المبدأ هو أن الأصل في الحداثة الإخراج من حال الخصوص إلى حال الشمول، والمراد بالخصوص هنا شيئين هما وجود الشيء في دائرة محدودة ووجود الشيء بصفات محددة وهو إذن ينطوي على مرتين من الخصوص.<sup>1</sup>

خصوص المجال أي وجود الأفراد في دائرة جغرافية معينة ووجود الشيء بصفات محددة تجعل الأفراد يتفردون بصفات حضارية معينة أو بعبارة جامعة خصوص المجال وخصوص المجتمع لذلك يكون الأصل في الحداثة أو الشمول الحدائي عبارة عن تجاوز لذين المستويين بالخروج من مضائق الخصوصية الجغرافية والحضارية إلى فضاء الكونية والعالمية.<sup>2</sup>

ويقصد طه عبد الرحمن بهذا المبدأ أن الحداثة تتسم بطابع الشمولية وهذا يعني أنها تشمل أو تعم كل المجتمعات وكل المجالات ولا تختص بمجتمع معين أو مجال معين، ومبدأ الشمول هو الآخر مبني على ركنين هما:

**التوسع:** لا تنحصر أفعال الحداثة في مجال أو مجالات بعينها بل إنها تنفذ في كل مجالات الحياة ومستويات السلوك فتؤثر في مجالات الفكر والعلم والدين والأخلاق كما تؤثر في مجالات القانون والسياسة والاقتصاد.

ويقصد طه عبد الرحمن بمبدأ التوسع أن الحداثة لا تشمل مجال باستثناء مجال آخر بل أنها تخوض في كل مجالات الحياة.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، مصدر سابق ص28

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقوز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، مرجع سابق ص172

وهكذا فإن فعلها في أي مجال تتداعى له المجالات الأخرى إذ تحدث فيها تحولات وتقلبات تخرج بها عن حدودها، كما أنها توسع النقد في كل هذه العناصر الثقافية بحيث لا ينفلت شيء من استيفاء مقتضيات النظر العقلي.<sup>1</sup>

وهذا يعني أن الحداثة تعتمد على النقد في كل المجالات أي أنها لا تميز في نقدها بين مجال ومجال.

**التعميم:** ومقتضى هذا الركن هو تجاوز الفروق التاريخية والحضارية بين الطرفين، وبالتالي لا يبقى الفعل الحداثي حبيس المجتمع الذي نشأ فيه بل إنه ابتكار أشكال التقدم التقني في وسائل النقل ووسائل الاتصال قد سهل ارتحال البضائع والأفكار فاتحةً بذلك عهداً جديداً هو عهد العولمة وما أورثته فتوحاتها من تقليص للزمن وتغيير لدلالة المفردات القديمة كالمكان والإنسان حتى أننا نشهد اليوم كما يقول بول فيليريو "نهاية الجغرافيا"<sup>2</sup>

وهنا يقصد طه عبد الرحمن بان الحداثة إذا ولدت في مجتمع معين لا تبقى محصورة في ذلك الحيز المكاني الذي نشأت فيه حيث أنها تنتشر في غيرها من المجتمعات ولا تأخذ بعين الاعتبار في ذلك التفاوتات والفروقات التاريخية والثقافية فيما بينها متجاوزة إياها حيث أنها تعم العالم أو الكوكب ككل.

وعلى الجملة فإن روح الحداثة تتكون من مبادئ ثلاثة أولها مبدأ الرشد ويقضي بوجود الاستقلال عن الأوصياء والأولياء ووجود الإبداع في كل الأقوال والأفعال، والثاني مبدأ النقد ويقضي بممارسة التعقيل في كل شأن من شؤون الحياة وممارسة التفصيل في كل أمر يحتاج إلى مزيد الضبط.

والثالث مبدأ الشمول ويقضي بحصول التوسع في كل المجالات وحصول التعميم على كل المجتمعات،

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، مصدر سابق ص29

<sup>2</sup> - عبد الرزاق بلعقروز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح ، مرجع سابق ص172، ص173

فخصائص الروح الحداثية هي إذن روح راشدة وناقدة وشاملة.<sup>1</sup>

وعليه نستنتج أن طه عبد الرحمن يؤكد أن الروح الحداثية هي الروح الناقدة الراشدة، الشاملة وروح الحداثة في رأيه تتضمن كلمة واحدة وهي الإبداع.

### ب- النتائج المترتبة على مبادئ روح الحداثة:

بعد أن تطرقنا للمبادئ التي تميز روح الحداثة في المجتمع المسلم، والتي تكمن بدورها في الرشد والنقد والشمول، أكد طه عبد الرحمن على أنه يترتب عن هذه الروح مجموعة من النتائج ويمكن حصرها فيما يلي:

#### أ - تعدد تطبيقات روح الحداثة:

ذلك أن روح أي شيء تختص بكونها تقدر على التحلي في أكثر من مظهر واحد، فكذلك روح الحداثة<sup>2</sup> تتضمن إمكانية التحلي في صور متعددة ضمن سياقات مختلفة لأن روح الحداثة هي مبادئها أما واقعها فهو تطبيقاتها المختلفة<sup>3</sup>

ويقصد طه عبد الرحمن بهذا أن روح الحداثة هو عبارة عن مجموعة من المبادئ الكونية العامة وهذه المبادئ لها تطبيقات مختلفة لا تقتصر على تطبيق واحد وفي نفس السياق يؤكد طه عبد الرحمن أن كل تطبيق يتم في سياق اعتقادات وافتراضات خاصة نسميها بمسلمات التطبيق.

#### ب - التفاوت بين واقع الحداثة وروحها:

ليس واقع الحداثة إلا واحدا من التحليلات أو التطبيقات الممكنة لروحها ذلك أنه ينزل منها منزلة المثال

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، المصدر السابق ص 29

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ص 30

<sup>3</sup> - قاسم شعيب ، فتنة الحداثة ، مرجع سابق ص 47

من ممثوله وعلوم أن المثال غير الممثل، فيلزم أن يكون الواقع الحدائى غير الروح الحدائى، وهذا يعنى أن هذه التطبيقات لا تكون متماثلة من جهة قوة أدائها لهذه الروح، بل قد يفصل بعضها بعضاً.<sup>1</sup>

من جهة مزيد تمسكها بها في نهوضها الحضارى.

وهنا يقصد طه عبد الرحمن أن واقع الحداثة هو عبارة عن واحد من التطبيقات المختلفة لروح الحداثة وهذه التطبيقات لا تكون متساوية من ناحية قوة أدائها لهذه الروح الحدائى.

### ج - خصوصية واقع الحداثة الغربية:

لقد اتضح أن واقع الحداثة في مجتمعات الغرب لا يعدو كونه تطبيقاً واحداً من الإمكانيات التطبيقية المتعددة والمختلفة التي تحملها روحها، بل لا تعدو الصواب إن قلنا بأن هذا التطبيق الحدائى الخاص هو نفسه اتخذ في المجتمعات الغربية أشكالاً مختلفة حتى كادت أن تكون لكل مجتمع منها حدائته الخاصة.<sup>2</sup>

ولا يعنى هذا عند الأستاذ عبد الرحمن أن تطبيقات الحداثة في الغرب مختلفة، بل هو تطبيق واحد من بين إمكانيات متعددة للتطبيق رغم أنه يعود ليقر أن تطبيقات هذه الحداثة حتى في الغرب نفسه متعددة بتعدد أطرها الاجتماعية والسياسية.<sup>3</sup>

### د - أصالة روح الحداثة:

ليست روح الحداثة كما غلب على الأذهان، من صنع المجتمع الغربى الخاص حتى كأنه أنشأها من عدم، وإنما هي من صنع المجتمع الإنسانى في مختلف أطواره، إذ أن أسبابها تمتد بعيداً في التاريخ الإنسانى الطويل، ثم لا

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، مصدر سابق ص30

<sup>2</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص23

<sup>3</sup> - قاسم شعيب ، فتنة الحداثة ، مرجع سابق ص47

يبدو أن تكون مبادئ هذه الروح أو بعضها قد تحققت في مجتمعات ماضية بوجوه تختلف عن وجوه تحققها في المجتمع الغربي الحاضر كما لا يبدو أن يبقى في مكنتها أن تتحقق بوجوه أخرى في مجتمعات أخرى تلوح في آفاق مستقبل الإنسانية وفي هذا الصدد يؤكد طه عبد الرحمن أن مبادئ الحداثة مشتركة بين الإنسانية جميعاً ليس كما يعتقد البعض أنها من إنتاج غربي بحث، فالحداثة الغربية هي تطبيق من تطبيقات روح الحداثة التي تعود إلى بطون التاريخ الإنساني.<sup>1</sup>

#### هـ - الاستواء في الانتساب إلى روح الحداثة:

يرى طه عبد الرحمن أن روح الحداثة ليس ملكاً لأمة بعينها، أيّاً كان نوع هذه الحداثة مصدراً فكرياً أو صعباً تتوطن فيه مفهوماتها الأولى في الشرق أو الغرب وإنما هي توجه فاعل وحي للتحضر<sup>2</sup>، "وهكذا نلاحظ أن طه عبد الرحمن يقصد أن روح الحداثة لا تنتسب إلى الشرق أو الغرب وإنما تنسب حسبه إلى الأمة المتحضرة التي تتوفر على الفعل العمراني ويقصد به الجانب المادي والفعل التاريخي والذي يقصد به الجانب المعنوي حيث يؤكد أن الأمم ليست متساوية في تحقيق هذين الفعلين حيث يقول: ولا شك أن الأمم تختلف في تحقيق درجة هذين الفعلين بحكم تراكم المعارف وتجدد القيم عبر القرون من غير أن يدل هذا التراكم والتجدد بالضرورة على أن المتأخر من الأمم أفضل من المتقدم فالأفضلية لا تقاس بالقوة المادية وإنما بالقوة المعنوية<sup>3</sup> وهكذا يتضح أن معيار الأفضلية بالنسبة لطله عبد الرحمن ليس الجانب المادي وإنما الجانب المعنوي هو الأجدر بذلك ويقصد به الجانب الأخلاقي أي قوة القيم ومنه يتحقق أن التطبيق الغربي لروح الحداثة ليس أكثر تمسكاً بهذه الروح"

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، مصدر سابق ص 30-31

<sup>2</sup> - محمد بومعيرة ، معالم قراءة تجديد التراث عند طه عبد الرحمن ، إشراف سعد خميسي ، مذكرة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة 2008-2009 ص 377

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، روح الحداثة، مصدر سابق ص 32.

بناءً على ما سبق قوله نستنتج أن طه عبد الرحمن يشدد على التمييز بين واقع الحداثة وروحها والفيلسوف الحق في نظره من يطلب روح الحداثة لا مظاهرها ولا روح للحداثة خارج الإسلام.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - عباس أرحيلة ، فيلسوف في المواجهة ، قراءة في فكر طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1- 2013

المبحث الثالث: الحداثة في ميزان الأخلاق :

يرى الأستاذ طه عبد الرحمن أن المسلمين لا يملكون إلا ما انطوى عليه الإسلام من القيم الأخلاقية والمعاني الروحية لتثبيت وجودهم وهو ملك ثمين في نظره لان عالم المستقبل سوف يشهد حدثين هامين أحدهما انهيار النظريات الأخلاقية والأنساق المعيارية والدساتير السلوكية الكبرى التي كانت توجه الحداثة الغربية.<sup>1</sup>

ويترتب عن ذلك حسب طه عبد الرحمن فراغ أخلاقي ناهيك عن الهروب إلى الحياة الخاصة وللتصدي لهذا الفراغ ومقاومته نحن بحاجة إلى أخلاق الإسلام ويواجه طه عبد الرحمن تحديات الحداثة بلفظ واحد الأخلاق\*<sup>2</sup> فالحل الأنسب للمشاكل التي تواجهنا ومشاكل الحداثة هو تخليق هذه الأخيرة، فالمسلك البديل هو الحداثة المعنوية الأخلاقية كمبدأ وكمنتهى. 2

فالحضارة الغربية الحديثة التي هي حضارة اللوغوس ذات الوجهين عقلي وقولي وذات شقين معرفي وتقني وإن قصدنا تلبية حاجات الإنسان المختلفة والمتزايدة فإنهما يضران بأخلاقته بقدر يهدد إنسانيته. 3

ويقصد طه عبد الرحمن بهذا أن التطبيق الغربي لروح الحداثة قد ناله الاعوجاج الخلقي إذا ضرت بالكيان الخلقي للإنسان لذا وجب بناء حداثة تتوافق مع مقومات الدين الإسلامي، فالحل والمسلك في نظره يكمن في ضرورة تخليق هذه الحداثة، إذ يقف على الآفات التي تحملها الحضارة الحديثة للإنسان، النقص، الظلم، التآزم،

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 228

\* الأخلاق: إن لفظ الأخلاق مفردة خلق بضم الخاء واللام، والخلق لغة هو الطبع واصطلاحاً هو الصفة السلوكية محمودة كانت أو مذمومة، واللفظ المقابل له في اللسان اليوناني هو ايتوس وهو لفظ قريب في النطق، من لفظ أتوس ومعناه العادة، فالأخلاق في مجال الممارسة الفلسفية الإسلامية المنقولة عن اليونان عبارة عن أحوال راسخة في النفس رسوخ طبع أو رسوخ تعود تصدر عنها أفعال توصف بالخير أو الشر، طه عبد

الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2، دس، ص381

2- الرزاق بلعقوز ، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح ، مرجع سابق ص 178

3- طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص145

التسلط بما يجعلها حضارة حداثا ناقصة ظالمة متأزمة متسلطة.<sup>1</sup> والتي تؤذي الإنسان في صميم وجوده الأخلاقي بما ييأس معه من الصلاح في حاله والفلاح في مآله.<sup>2</sup>

فهو يرى أنه مهما أجريت الإصلاحات والتصحيحات والتعديلات لتجاوز هذه الآفات فإنها تبقى محدودة أمام قوة هذه الآفات فكل تعديل أو إصلاح ينجم أو يترتب أو يتولد عنه أثر سيء آخر والسبب يكمن في عمق هذه الآفات.

وهو يؤكد في هذا الصدد أن أخلاق السطح لا تنفع في الخروج من آفات العمق، بل لا بد في ذلك من طلب أخلاق العمق إذن لا بد من تقديم حل أخلاقي لمأزق الحداثة الغربية المتولد عن إفلاسها القيمي.<sup>3</sup> وذلك من خلال الشروع في بناء حضارة جديدة لا يكون السلطان فيها اللغوس وإنما يكون فيها اللاتوس أي الخلق، بحيث تتحدد فيها حقيقة الإنسان لا بعقله أو بقوله وإنما بخلقه أو فعله،<sup>4</sup> فالمحدد الأساسي للإنسان ليس العقل المجرد وإنما الأخلاق فهي التي تميزه عن الحيوان الذي لا أخلاق له لعدم قدرته على إدراك القيم، فهوية الإنسان هوية أخلاقية.<sup>5</sup> ويقصد من خلال هذا أن الأخلاق هي معيار تجديد جوهر وماهية الإنسان وليس العقل أو القول، فلا مناص إذن من أن نحمي الإنسان لحضارة اللاتوس متى أردنا أن يصلح في العاجل ويفلح في الآجل، والحاصل أن ما عمي على الحداثة هو غياب الخلق فالحداثة وتابعتها العولمة نظرة إلى الإنسان والوسائل وهو يقصد بهذا أن العولمة ترى في حقيقة وجوه الإنسان عبارة عن مجموعة من الوقائع والوسائل، إن حقيقة الإنسان ليست كما يريدتها التعولم المعاصر أن تكون عبارة عن منظومة من الوقائع والوسائل، أي تكون منظومة آلية، فإذن يكون الإنسان في نهاية المطاف عبارة عن آلة وكفى، وليس الأمر كذلك بل إن

<sup>1</sup> - محمد الشيخ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد، مرجع سابق ص 228

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المصدر السابق ص 145

<sup>3</sup> - ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1-2010 ص 77

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المصدر السابق ص 146

<sup>5</sup> - طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، مصدر سابق ص 106

الإنسان كان وما يزال مجموعة من القيم\* والمقاصد وكل مجموعة من هذا النوع لا تكون حركات طبيعية ولا محكومة في كليتها بنسق من القوانين أي تكون مجموعة معنوية فإذاً يكون الإنسان في الحقيقة عبارة عن آية أو إن شئت قلت الإنسان آية قبل أن يكون آلة. 1

### أصول تخليق الحداثة:

1- لقد تقرر منذ عهد اليونان أن هوية الكائن البشري أي صفاته التي تجعله هو لا غير هوائي بشرا لا حيوانا هي بالذات خاصية العقل ولم تعمل الحداثة إلا أنها أورثته وليتها ما ورثته ما كان الإنسان بدءا كائنا ذا عقل إنما الإنسان أصلا كائن ذو خلق، 2 ويقصد بهذا أن الحداثة ورثت الاعتقاد القائل بأن العقل هو الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان والعقل هو أساس التمييز بينهما بينما الحقيقة ليست كذلك إذ يقول طه عبد الرحمن " لا دليل يثبت أن الحيوان لا عقل له ما كان الذي يفصل الإنسان عن الحيوان العقل ما دام أن للحيوان قدرا منه قليلا أو كثيرا، وإنما الذي يفصله عنه التخلق بخلق 3 فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلا عن أفق البهيمة، فالأخلاقية هي الأصل الذي تتفرع عليه كل صفات الإنسان والعقلانية التي تستحق أن تنسب إليه ينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي 4 وهذا معناه أنه يضع الأخلاق في المقام الأول ومن ثم العقلانية تابعة لها فليست هي الأصل.

\*- القيم: لفظ القيمة يدل في الاستعمال العادي على قدر الشيء أو مقداره، أما في المجال الفلسفي تفيد المعنى الخلقى الذي يستخف أن يتطلع إليه المرء بكليته ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه، طه عبد الرحمن، تعددية القيم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش ط1-2001 ص11

1- طه عبد الرحمن ، حوارات من أجل المستقبل ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2011، ص165

2- محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد، مرجع سابق ص229

3- طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر السابق ص14

4- المصدر نفسه الصفحة نفسها

الفعل العقلي نفسه خلق به يرتقي هذا الكائن إلى رتبة الإنسان متى كان نافعا وينزل به إلى رتبة البهيمة متى صار ضارا،<sup>1</sup> وهذا معناه أنه يعتبر الأفعال العقلية أخلاقية فمتى كان هذا الفعل حسنا رفع من شأن الإنسان وإذا كان هذا الفعل ضارا وقبيحا جعله في مرتبة الحيوان، فالأخلاقية هي التي تحدد إنسانية الإنسان وهذا ينتج عنه أن الأخلاق هي التي تحدد هوية الكائن البشري وليست خاصية العقل.

من خلال ما سبق قوله يمكن القول أن محتوى المسلمة الأولى للأخلاق الإسلامية أنه لا إنسان بغير أخلاق والماهية الحقيقية للإنسانية تحدها الأخلاق ويؤكد طه عبد الرحمن بأنه تترتب عن هذه المسلمة حقائق ثلاث: أن هوية الإنسان ليست رتبة واحدة وإنما رتب متعددة، فقد يكون الواحد من الجماعة إنسانا أكثر أو أقل من غيره فيها والثالثة أن هوية الإنسان ليست ثابتة وإنما متغيرة، فقد يكون الفرد الواحد في طور من أطوار حياته إنسانا أكثر أو أقل منه في طور سواه،<sup>2</sup>

وعلاوة على ذلك عندما يؤكد بأن الأخلاقية هي التي تحدد حقيقة الإنسان، هذا يؤدي حتما إلى أن الأخلاقية ترجح من العقلانية في الاختصاص بالإنسان، هذا لا يعني أبداً التخلي عن العقلانية وإنما هو عن تخليقها<sup>3</sup> فالعقلانية حسب طه عبد الرحمن قسمين " فهناك العقلانية المجردة من الأخلاقية وهذه التي يشترك فيها الإنسان مع البهيمة، وهناك العقلانية المسددة بالأخلاقية والتي يختص بها الإنسان وخطأ المحدثين أنهم حملوا العقلانية على المعنى الأول وخصوا بها الإنسان<sup>4</sup> ولما ما كانت الحداثة بالزمن أي بالآليات وإنما الحداثة

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 231

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص 147

<sup>3</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 231

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر السابق ص 14

بالقيم أي المقاصد والمعاني والقيم فإن الأصل في الحداثة الحقنة أن تحد بما يدسم القيم أي الأخلاق لا بما ينشئ الآلات، أي العقل.<sup>1</sup>

فالإنسان يتحدد أساساً بالأخلاق، فالإنسان (بفتح الحاء) خلق متخلق فإذا استوفى الأخلاق في حياته استوفى شرط الإنسانية.<sup>2</sup>

ثانياً: لا أخلاق بغير دين:

والراجح أن هذه المسلمة لا تطبيقها فئة من الناس من بينهم العلماني الذي لا يقر إلا بسلطان العقل المجرد، فلا مجال عنده للوحي والناسوتي الذي لا يقر إلا بقيمة الإنسان فلا مجال عنده للألوهية والطبيعي الذي لا يقر إلا بالتحليل الطبيعي للأشياء.<sup>3</sup>

والأخلاق حسب طه عبد الرحمن مستمدة من الدين بمعنى أنها مأخوذة منه.

فقد ثبت أن لا إنسان بغير أخلاق وأن لا أخلاق بغير دين مما يجوز معه أن نحدد الإنسان بكونه الكائن الحي المتدين فالهوية الإنسانية تكون في حقيقتها هوية دينية<sup>4</sup> وحتى غير المتدين، إذا ما هو فتش أمره وجد أنه يأخذ بالدين إما مستتراً أو محرفاً أو مستبدلاً الإيمان المطلق بقيم من عنده.<sup>5</sup>

مما سبق يتضح بأن طه عبد الرحمن يؤكد بأن الأخلاق معيارها ومصدرها الوحيد هو الدين، فلو لا الدين لما وجدت الأخلاق والأخلاق في منظوره تحتوي على قيمتي الخير والشر والخير والشر قيمتان مصدرهما الدين.

1 - محمد الشيخ - جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد - المرجع سابق ص 231

2 - طه عبد الرحمن ، الحوار افقاً للفكر ، مصدر سابق ص 107

3 - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر السابق ص 148

4 - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر نفسه الصفحة نفسها.

5 - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد - المرجع سابق ص 232

والجدير بالذكر أن ما سمح للأستاذ طه عبد الرحمن بالانتقال من الأخلاق إلى الدين هو مفهوم العلو بحيث أن أحد المبادئ التي قامت عليها الحداثة هو القيم المتعالية ولما أقدم أهل الحداثة على صرف هذه القيم فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو أعلى، ومن يستبدل الأدنى بالأعلى لا يأمن أن يضره الأدنى ولا يبقى ما يمكن أن تدعي الحداثة الاختصاص به تقريرها بأن الإنسان ابن عصره لكن الإنسان الذي لا يتزود بأعلى القيم لا يكون فاعلا في عصره.<sup>1</sup>

ضف إلى ذلك أن طه عبد الرحمن يؤكد في هذا الصدد أن المفاهيم والقيم الأخلاقية تحتاج إلى مجال الدينيات حتى تثبت وتستقر وهذا هو المجال المتسني في الحداثة، إذن ينجر عنه أنه لا أخلاق بدون غيبات كما لا دين بدون غيبات<sup>2</sup> وهذا يعني أن طه عبد الرحمن يربط بين الأخلاق والدين، فالحداثة في منظوره بحاجة إلى أخلاق الدين لنتمكن من الانتفاع منها ودرء آفاقها، فالحداثة في طبيعتها الأوروبية غير قابلة للاندماج ضمن نسيجنا الثقافي اللهم إلا أن نبذل جهداً لتعديلها.<sup>3</sup>

ولئن سأل سائل لماذا الدين؟ فإن جواب الأستاذ طه عبد الرحمن هو لا مفر من التسليم بأن الحيز الإلهي هو المصدر الحقيقي للعمل بالقيمة الخلقية كما أن الفعل الإلهي هو السبب الحقيقي للشعور بها في الوجدان.

ولئن أعقب السؤال بسؤال آخر لماذا من الدين الإسلام بالذات، أجاب طه عبد الرحمن هل ينبغي أن يرجع كل قوم إلى ما وجدوا عليه آباءهم من دين، فيقتبسونه منه أخلاقا يدفعون به شرور العوامة أو على العكس من ذلك،<sup>4</sup> وفضلا عن ذلك يؤكد طه عبد الرحمن أنه يجب وضع ممثلين لكل الأقوام، ويأخذون من دياناتهم من الأخلاق ما يواجهون به أضرار العوامة، فالإسلام في نظره هو الأفضل، فالدين الإسلامي هو الأصل الذي تبنى

<sup>1</sup> - محمد الشيخ- جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد- المرجع السابق ص 232

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المصدر السابق ص 25

<sup>3</sup> - توفيق السيف ، الحداثة كحاجة دينية ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط 1 ، 2006 ص 109

<sup>4</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص 233

عليه الأخلاق لأنه الطور الخاتم من تحقق الميثاق الأول أعقل الأطوار جميعا فلما كان مضمون هذا الميثاق هو الجمع بين العقل والشرع لم يحصل تمام هذا الجمع إلا مع الطور الخاتم من أطواره.<sup>1</sup>

فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الكفيلة لإصلاح الحداثة ومداداة الاعوجاج الخلقى الذي نالها وهذا ينطبق على أصحاب الديانات الأخرى.

ضف إلى ذلك يؤكد طه عبد الرحمن أنه لئن ادعت الحداثة الغربية الاستياد على الطبيعة حد الاستياد فإنه ليس من روح الحداثة الحقة أن الإنسان هو سيد الطبيعة وذلك لأن سيد الشيء هو مالكة الحال أن الإنسان ليس مالك الطبيعة وإنما هي مسخرة له، ومن ثمة فإن تخليق الحداثة يعني عدم التسلط على الطبيعة وإنما موادتها حتى تبوح له بأسرارها.<sup>2</sup>

فالذي ينبغي أن يعلم هو أن الطبيعة أم للإنسان وليست أمة له، فقد خرج من رحمها مثلما خرج من رحم أمه.

" من خلال ما سبق قوله نستنتج أن طه عبد الرحمن يؤكد على أنه نحن مطالبون بتخليق الحداثة وبناء حداثة ذات توجه معنوي نتيجة للفراغ الأخلاقي والاعوجاج الذي تسببت فيه الحضارة الغربية الحديثة ناهيك عن أنها آذت الإنسان في صميم وجوده الأخلاقي، فالحل الأنسب في نظره أخلاق الإسلام كونها أخلاق عميقة لا سطحية وشاملة لا محدودة<sup>3</sup> لذا يجب وضع فلسفة أخلاقية إسلامية جديدة تنبني على مسلمتين أساسيتين أولهما لا إنسان بغير أخلاق بمعنى أن الأخلاق هي عنوان الإنسانية، فهي أخص بالإنسانية من العقل، فالعقل تابع للأخلاق فهوية الإنسان هوية أخلاقية أما فيما يخص المسلمة الثانية مضمونها أنه لا أخلاق بغير دين

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص168

<sup>2</sup> - محمد الشيخ ، جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، مرجع سابق ص ص 233 ، 234

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مصدر سابق ص170

بمعنى أن الأخلاق مأخوذة من الدين علاوة على ذلك أكد على أن روح الحداثة تنفي وتستبعد استياء الإنسان على الطبيعة لأن هذه الأخيرة ليست ملكاً لأحد، وهذا ما يقصد به تخليق الحداثة.

## خلاصة:

لقد بسط طه عبد الرحمن نقده للحداثة الغربية في كتابه سؤال الأخلاق باعتبارها حداثة وافدة جرفت كل العقول، حيث أكد أنها حضارة ناقصة عقلا وظالمة قولاً ومتأزمة معرفة ومتسلطة تقنية، فالحداثة في منظوره لا تعني تقليد الغير في أقواله وأفعاله وإنما تعني الإتيان بما يضاويه مميّزا بين واقع الحداثة وروحها.

وروح الحداثة في نظره تقوم على ثلاثة مبادئ: مبدأ الرشد والنقد والشمول ضف إلى ذلك فإن التطبيق الغربي لمبادئ الحداثة أفضى بالإنسان إلى آفات أخلاقية لا حصر لها ومنه كانت الدعوة إلى ضرورة الاشتغال على تخليق الحداثة وبناء حداثة ذات توجه معنوي، فالأخلاق الإسلامية هي الأنسب لمداواة الفراغ الأخلاقي.

# الفصل الأول

توطئة:

لقد حظيت إشكالية الحادثة بمكانة بارزة بين جمهور الباحثين والفلاسفة بشكل مكثف وجريء وبالرغم من ذلك كله، إلا أننا نشهد ارتباكاً في تحديد تعريف متفق عليه فليس من السهل الوقوف على دلالة واحدة، وذلك كون هذا المفهوم يشمل كافة مستويات الوجود الإنساني حيث يشمل الحادثة التقنية، والاقتصادية، والسياسية والفلسفية الخ...، إضافة إلى الجدل حول سياقها التاريخي، كما أن للحادثة مبادئ تقوم عليها ومنه نطرح الإشكال التالي :

ماذا يقصد بالحادثة؟ ومتى بدأت؟ وفيما تتحلى أسسها؟

المبحث الأول : مفهوم الحداثة وبعض المصطلحات المتعلقة بها:

يشكو العديد من الدارسين من غموض معنى الحداثة ومن تعدد مدلولاتها إذ أكدوا أنه ليس من السهل الوقوف على تعريف جامع شامل لها ولو حاولنا استجلاء مصطلح الحداثة فإننا سنجد في اللغة والاصطلاح كالتالي:

مفهوم الحداثة لغة:

إن المصطلح في أساسه أجنبي عن اللغة العربية، أوروبي المنشأ ففي اللغات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية يقابل Modernism و Modernity ومثلهما، في الفرنسية مشتقة من الفعل حدث والكلمة في أصلها تتعلق بالشباب والجدّة<sup>1</sup>.

واللفظة العربية للحداثة تأتي أصلاً من حدث في حين أن لفظة الحداثة العربية Modernité مشتقة من الجذر Mode وهي الصيغة أو الشكل أو ما يتبدى به الشيء<sup>2</sup>.

ومن الناحية اللغوية فإن الحداثة تشير للمفهوم الزمني فيها بمعنى ما هو جديد مقابل ما هو قديم<sup>3</sup>.

وتقابل كلمة حديث في اللغة اللاتينية Modernus، ويكاد يستعمل دوماً بمعنى ضمني ليدل على الانفتاح والحرية الفكرية ومعرفة أحداث الوقائع المكتشفة أو أحداث الأفكار المصاغة وغياب الكسل والرتابة<sup>4</sup>.

1- عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1992م، ص24

2- مطاع صفدي، نقد العقل العربي، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، لبنان، د ط، 1990م، ص223

3- صدر الدين القباجي، الأسس الفلسفية للحداثة، دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت لبنان، 2010، ص7

4 - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، دار عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص822

أو بمعنى عامي للدلالة على الخفة وحب التغيير لأجل التغيير والميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه.<sup>1</sup>

ب - اصطلاحاً:

تعتبر كلمة حداثة، عصرنه، تحديث عن أي عملية تتضمن تحديث وتجديد ما هو قديم لذلك تستخدم في مجالات عدة لكن هذا المصطلح يبرز في المجال الثقافي والفكري والتاريخي ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوربا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة، وعليه فمعظم الحياة الحديثة تغذت من مصادر متعددة كالاكتشافات العلمية ومكننة الصناعة التي حولت المعرفة بالعلوم إلى تكنولوجيا وهذا يخلق هيئات جديدة للبشر ويدمر القديمة ويعجل حركة الحياة ويفصل الملايين من البشر عن تاريخهم وعاداتهم المورثة منذ الأزل.<sup>2</sup>

وهذا يعني أن الحداثة تتضمن في معناها الجديد ومجاورة كل ما هو قديم وموروث.

إضافة إلى ذلك يتفق الغربيون على أن الحداثة هي منهج تغييرى ومذهب انقلابى فى المفاهيم والأفكار، يحتفى تحت شعار التطور والتقدم، ويقررون أن هذا المنهج التغييرى جاء نتيجة لمناهج تغييرية سبقته وهي ما يعبرون عنه بالهزات الحضارية التي غيرت وبدلت فى المفاهيم والأفكار والمبادئ حتى أنتجت الحداثة بصفقتها منهجا لا بد منه للتقدم والتحضر كما تعنى حتمية الصراع مع القديم، وبالتالي رفضه وضرورة التحول إلى فكر جديد يقوم على إنقاص القديم.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص288

<sup>2</sup> - مصطفى حسيبه، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012، ص179، ص180

<sup>3</sup> - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة فى العالم العربى، دراسة عقدية، المجلد الأول، 1414هـ، ص122

ويقول بودليير\* عن الحداثة: هي الانتقال العابر الجائز وهي نصف الفن الذي يشكل الأزلي اللامتغير نصفه الآخر، بحيث تولد الحداثة من تقاطع الزمن والأزل من راهن يتلاشى من جمال عابر سكن الحاضر كان غرضها الاعتراف بالبرهنة الانتقالية بوصفها الماضي لحاضرات. 1

فالحداثة إذن تتصادم مع كل البنى السائدة في المجتمع لذلك فهي تسعى دوما نحو التغيير والتبديل والخروج عن كل ما هو نمطي، ويقول تورثروب فراي عن مفهوم الحداثة: بأنه ذلك النمط من وعي الإنسان المعاصر أهمية اللحاق بحركة الزمن، هذا الوعي الذي غالبا ما ينتهي باليأس لتزايد سرعة هذه الحركة. 2 ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الحداثة عند العرب هي ثورة على كل ما هو قديم وسائد بهدف التغيير والتجديد.

بعد تعرضنا لمفهوم الحداثة سنتطرق الآن إلى بعض المصطلحات المتعلقة بها وهي كالتالي: التحديث، التجديد، الأصالة، الثقافة.

### التحديث:

الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمه.

حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة هو، فهو محدث، وحديث وكذلك استحدثته. 3

\* - بودليير: أديب فرنسي من أبرز رموز مذهب الحداثة، نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية ووصفها بالسادية، أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين، مصطفى حسييه، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص185

1- فيصل دراج، ما قبل الدولة ما بعد الحداثة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص18

2- محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، لمرجع السابق، ص123

3- المرجع نفسه، ص 31

واللفظ الإفرنجي حديث نشأ في القرن التاسع عشر وأغلب الظن أن أول من استخدمه هو شاتوبريان عام 1848 واعتبره بودليير مصطلحا جديدا عام 1850 ولقد أشار جيلسون إلى بزوغ وعي التحديث في العصر الوسيط على أنه يعبر عن علمانية التحديث،

ولقد نشأ لفظ Modernus كصفة في القرن السادس وهو مردود إلى لفظ Modus ويعني المقياس

أو النموذج.<sup>1</sup>

### اصطلاحا:

يعرف هايرماس التحديث بأنه جملة سيرورات تراكمية يشد بعضها بعضا، فهو يعني بناء تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ونمو القوى الإنتاجية وزيادة إنتاجية العمل كما يشير إلى إنشاء سلطات السياسة المركزية ويشكل هويات قومية ويشير أيضا إلى نشر حقوق المشاركة السياسية وأشكال العيش المدني وعلمنة القيم والمعايير.<sup>2</sup>

والتحديث هو مشروع تعميمي وشمولي وكوني يقوم على توحيد نمط الحياة في مختلف الحضارات وذلك يعني أن التحديث محدد بغاية تتمثل في استيعاب معطيات الماضي وتجاوزها والتأقلم مع متطلبات الحاضر والتهيؤ لاستقبال التطورات الجديدة للحياة.<sup>3</sup>

والتحديث Modernisation هو عملية تعديل البيئة الاجتماعية والرؤية المعرفية والأخلاقية بحيث يخضع

1 - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة، القاهرة، د ط ' 2007، ص 169

2 - صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحداثة، دراسة تقدم مقارنة بين الحداثة والإسلام، مرجع سابق، ص 7

3 - فتحي التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، د ط 1992، ص 31

الواقع بأسره للقواعد والإجراءات العامة غير الشخصية ويزداد التحكم فيه.<sup>1</sup>

إن الحداثيين يحرصون على التمسك بشعار الحديث والتحديث ويعبرون عن ذلك بالحداثة لأن هذه الأمور تعني نقيض القديم، فالتحديث لا يعني تجديد القديم أو إحياء التراث وإنما يعني ابتداء فكر جديد يناقض القديم.<sup>2</sup>

إذن يمكن القول أن التحديث يشكل الفاصل والقاطع مع الماضي ويهدف إلى تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويعبر عن الاستعداد للدخول في تجارب جديدة.

#### التجديد:

#### . في اللغة:

جاء في قوانين اللغة العربية وقواميسها مادة جدد.

جدد والجددة مصدر الجديد، وأجد ثوبا واستجدته، صيره جديدا والمراد بالتجديد في اللغة إعادة الشيء بعدما خلق وبلى إلى ما كان عليه أول الأمر فهو في أول أمره كان جديدا فتقدم عليه حتى بلى وخلق ثم جدد بإعادته إلى ما كان عليه.<sup>3</sup>

#### اصطلاحا:

لفظ جديد New يستعمل للدلالة على بعض المذاهب الفلسفية لربطها بمذهب سابق تحتويه من بعض الجوانب وتبدو تعابير هذه الصورة أكثر تداولاً في ألمانيا منها في فرنسا.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبو يعرب المرزوقي وطيب بتزيني، آفاق فلسفة عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق ط1، 2001 ص229

<sup>2</sup> - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، مرجع سابق، ص 31

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ص36

<sup>4</sup> - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق ص269

ويرى الحداثيون أن التجديد هو إعادة الشيء وتجديده مع المحافظة على أصوله وثوابته الأولى أي أن التغيير لا ينال جذور الشيء وإنما يعاد ويظهر بلباس جديد ويقصد هنا بالتجديد التغيير غير الجذري أي سطحي لأنه يحافظ على أصل الشيء.<sup>1</sup>

ويربط عبد الكريم سروش مصطلح التجديد بالدين فيقول: التجديد هو إعادة فهم الدين وجوهر التجديد يتمثل في تقديم فهم جديد لظاهرة الوحي تكون متناسبة مع الصور التي يحملها الإنسان الجديد عن نفسه وعن العالم المحيط به.<sup>2</sup>

فالحداثيون يحرصون على تمييز الحداثة عن التجديد، وعلى هذا فهم يفرقون بين التجديد والحداثة ولا يعبرن بالتجديد إلا إذا قصدوا به معنى الحداثة تماما، يقول أدونيس: "فالجديد معنيان زمني وهو في ذلك آخر ما استجد وفي أي ليس فيما أتى قبله ما يماثله". أما الحديث فذو دلالة زمنية ويعني كل ما لم يصبح عتيقا وكل جديد بهذا المعنى حديث لكن ليس كل حديث جديد.<sup>3</sup>

### الثقافة:

#### الثقافة في اللغة:

الثقافة في اللغة الفرنسية Culture واللفظ الإفرنجي مشتق من اللفظ اللاتيني Colo أي يحرث الأرض ويرعاها ويقول عنها شيشرون أنها الطبيعة الثانية وهي لا تعني فقط الزراعة وإنما تعني أيضا تربية الإنسان الذاتية، أما الثقافة الرفيعة فهي الآداب والعلوم وبعد ذلك العيادة وهي مراعاة ميول الآلهة، واللفظ العربي مأخوذ من تنقيف الرمح أي تسويته، يقال ثقف الرمح ويراد قومه ونفى عنه الاعوجاج تم تجاوز هذا المعنى

<sup>1</sup> - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، المرجع السابق ص37

<sup>2</sup> - فردين قريشي، تجديد الفكر الديني في إيران، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008 ص 79 - ص83

<sup>3</sup> - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، مرجع سابق ص38

وانتقل إلى معنى يتصل بالعقل والذوق، وكانت واردة لدى الرومان إذ هي مشتقة من كلمة الزراعة أي العناية بالأرض ثم انتقلت إلى الإنسان عند شيشرون فقبل ثقافة النفس أي تربية النفس والعقل ثم بعد ذلك امتدت في القرن السابع عشر إلى الإنسان من حيث هو كائن حي في مجتمع ثم امتدت إلى المجال الفلسفي في القرن التاسع عشر عند فيكو الذي كان يعني بها جملة أساليب الحياة.<sup>1</sup>

## اصطلاحاً:

وردت كلمة ثقافة كصفة culture في قاموس أكسفورد 1857 فقبل نمو ثقافي growth cultural ثم استخدمها ماثيو ارنولد كاسم 1876، أما في اللغة الفرنسية فكلمة ثقافة في أصلها تعني العبادة ثم أصبحت تعني عبادة الأرض، وفي قاموس الأكاديمية الفرنسية الثقافة هي الاهتمام بالفنون والروح، ويعرف تايلور الثقافة بأنها كل مركب يشمل المعرفة والإيمان والأخلاق والفن والقانون والميول الأخرى للإنسان كما يعرفها مراد وهبة في معجمه بأنها في أصلها إيديولوجيا إي رؤية مستقبلية أي وضع قادم وإذا تم تموضع الوضع القائم فإنه يتحول إلى وضع قائم وهو الثقافة ولهذا فالثقافة هي تموضع لوضع قادم.<sup>2</sup>

والحداثة في لسان العرب معناها الحذق يقول في مادة "ثقف".

ثقف الشيء ثقافاً وثقافاً أي صار حاذقاً خفيفاً ومنه المثاقفة، ولا شك أن التحول الدلالي في لفظة الثقافة من معنى الحذق إلى معنى "جملة المعارف المكتسبة" أو جملة النتاج الفكري والفني لحضارة بعينها قد تم تحت التأثير المباشر للمثاقفة Acculturation أي التأثر بالثقافة الغربية الوافدة.<sup>3</sup>

1- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق ص ص 229-230

2 - المرجع نفسه، ص 230

3 - جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقى، بيروت ط1، 2006 ص95

إضافة إلى ذلك عندما نأخذ مفهوم الثقافة في اللسان الأجنبي culture نجد أن الكلمة تنطوي في بعدها الاشتقاقي والمجازي على مدلولات الحرث والحصاد *cultiver*، فهناك عملية كامنة في الممارسة الثقافية ذاتها، غايتها حصاد الوعي أو قطف ثمار التحرر والتقدم.

تصبح الثقافة بهذا المعنى ممارسة أو سياسة تنخرط قلباً وقالباً في الحقل الاجتماعي لزراع بذور المشاريع قصد حصاد ثمار النضالات الريادية، فهي تفتضي القلب والتجديد أو الحرث والتبدد، وعليه تصبح الثقافة في هذا السياق وعاء التوعية وحقل التعبئة كما كان شائعاً في الفترات التحررية من ماركسية وليبرالية وغيرها.

ويقول ابن دريد: ثقفت الشيء حذفته وثقفته إذا ظفرت به أو الظفر بالشيء يتراءى في ممارسة السلطة على موضوع هذه السلطة.<sup>1</sup>

وفضلا عن ذلك قيل بأن الثقافة هي ميزة الإنسان الذي نما بالمعرفة ذوقه الأدبي وحسه النقدي وقدرته العقلية وأصبحت هذه كلها صفات ثابتة فيه، وفي علم الإنسان اتخذت لفظة ثقافة معنى واسعاً جداً فأصبحت تدل على كل أمر أحدثه الإنسان الاجتماعي ولم يكن أصلاً في الطبيعة الفردية الأولى بهذا المعنى يقابلون بين الطبيعة والثقافة.<sup>2</sup>

### الأصالة:

في اللغة مشتقة من الأصل ويقابلها في اللغة الفرنسية كلمة *Originalité* وتعني الثبات، واللفظ الإفرنجي أصيل *Original* مشتق من اللفظ اللاتيني *Originalis* ويعني الأول أو البداية وهو يوحي بأن الإنسان

<sup>1</sup> - محمد شوقي الزين، إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط 1، 2008، ص 118-119

<sup>2</sup> - عبد السلام بنعبد العالي، الغيرية والآخر، مقولات التحاور وإمكانات اللقاء ضمن المجلة الفلسفية، فضاء العقل والحرية أيس، دار الصحافة القبة 2007، العدد 2 السداسي الأول ص 38

المبدع هو الإنسان الذي يتميز بمجاوزة ما فعله الآخرون، ويطلق أيضا على الجديد أي الذي لا يحاكي ما هو سابق.<sup>1</sup>

وبناء على هذا نستنتج أن الأصالة تتضمن في معناها الإبداع، فالأصالة تجعل الإنسان متميزا عن غيره كونه مبدع ضف إلى ذلك يعنى بالأصالة الشيء الثابت.

والأصالة تعني أيضا التمسك بالأصول واستلهاها.<sup>2</sup>

وعليه يمكن القول أن كل هذه المفاهيم ( الحداثة، التحديث، التجديد، الثقافة والأصالة) متضايفة ومتداخلة ومتلازمة فيما بينها إذ لا يمكن الحديث عن الواحدة منهما في غنى عن الأخرى.

<sup>1</sup> - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق ص72

<sup>2</sup> - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 1991 ص16

## المبحث الثاني: الجذور التاريخية للحداثة:

تعتبر بداية الحداثة من أشد القضايا التي دار حولها الكثير من الخلاف بين المفكرين، فالبعض منهم يعيدها إلى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ومنهم من يعيدها إلى القرن التاسع عشر نصفه الأول أو نصفه الثاني ومنهم من يعتقد أنها ابتدأت في أوائل القرن العشرين.<sup>1</sup>

وهذا يعني أن هناك جدل وخلاف حول ميلاد الحداثة، وكان من أسباب هذا السجال والخلاف اختلاف مفهوم الحداثة والعصرنة وما يقصد منها "جون اف رندل في كتابه عن الحداثة يعيد جذور الحداثة إلى هؤلاء الثلاثة "كانت" و"هيغل" و "ماركس" إذ يقول: "ليست الحداثة (Modernity) مجرد وجود تاريخي أو شيء يوفر الستارة الخلفية للمسرح لتاريخ الأفكار ولكنها تأسيس للعلاقات الاجتماعية من خلال رأيين أو معنيين" ثم يبين رندل هذين الرأيين.<sup>2</sup>

فالأول مرتبط بالمؤسسات والنماذج التي يقيمها الاجتماعيون والثاني مرتبط بسلسلة تبين كيف بنيت هذه النماذج، تتطور من خلال الإصلاحات المميزة لحركة التنوير الفلسفية على أساس العقلانية والحرية ويورد رأي كانط حول جذور هذا التصور "التنوير هو تحرير الإنسان من الوصايا القائمة بداخله، إن هذه الوصايا تعني عجز الإنسان عن الاستفادة من قدرته على الإدراك والفهم دون توجيه من غيره، وهذا معناه أن التنوير شعاره هو الجرأة في استخدام العقل وهو ضد العجز والكسل.

ويقول رندل يمكن أن نفهم الحداثة على أنها عملية تجميع وتفاضل اجتماعي وثقافي تدفعها سلسلة

<sup>1</sup> - عدنان علي رضا النحوي ، تقويم نظرية الحداثة ، ط1 مرجع سابق 42

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ط2 ، ص12

من الأحداث والحركات وتشمل حركة التصنيع، وحركة استقلال الفن، وحركة التحول الديمقراطي " ثم يقول " وهذا الفهم للحداثة يرتبط بقضية فلسفة علم الإنسان وأصله الأنتروبولوجي ومع امتداد الاتجاه العقلائي والثقافي ضم النهضة وعهد الإصلاح وعهد التنوير<sup>1</sup> وهذا يعني أن رندل يعود بجذور الحداثة إلى عهد التنوير وعهد الإصلاح قبله وعهد النهضة قبل ذلك.

ضف إلى ذلك هناك منظور آخر يرى بأن حركة الحداثة كديناميكية تاريخية ليست وليدة القرن الثامن عشر أو التاسع عشر في أوروبا، بل أن جذورها تعود إلى القرن الخامس عشر وهو القرن الذي انطلقت فيه المغامرة الكونية الكبرى التي ارتادتها الحضارة الغربية، فالحداثة لم تحدث في سنة واحدة ولا حتى في قرن واحد بل انطلقت تدريجياً لترسخ على كافة الجبهات الاجتماعية في أوروبا، ثم لتندفق على كافة أرجاء الكرة الأرضية وذلك عبر المفصل الكبرى الإستراتيجية الأساسية للنهضة الأوروبية<sup>2\*</sup> في إيطاليا الإصلاح الديني، الاكتشافات الجغرافية، الثورات العلمية في مختلف المجالات وخاصة مجال الفلك لكوبرنيك وغاليليو في ميدان البيولوجيا لامارك وداروين، الثورة الصناعية في إنجلترا والثورة الفرنسية، الثورة الأمريكية والثورة الروسية، الثورات العلمية والصناعية المتواصلة حالياً. 2

وفضلاً عن ذلك تابع رندل فلسفة كل من كانط وهيغل وماركس ليرسم مسيرة تطور الحداثة ونموها من جذورها حيث أكد أنه كان تفكيرهم يدور حول الحرية والعقلانية حيث أقام كانط عاملين للعقل المطلق والعقل العملي الواقعي واعتمدت فلسفته التصور الذي يرى بأن معرفة الحقيقة مصدرها الفكر لا التجربة بينما اعتمد هيغل علم الوجود واعتبر أن العقل المطلق هو الله والعقل المجرد هو نهاية الطبيعة.

<sup>1</sup> - عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة، ط1، مرجع سابق، ص43

\* - النهضة الأوروبية: هي حركة فكرية نشأت أولاً في إيطاليا في القرن الرابع عشر ميلادي تتسم بالاهتمام بالأدب والفن الكلاسيكي التقليدي<sup>2</sup> والنشاط الفردي والذهني (العقلي والعلمي والفني) - إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الطباعة لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية د ط، د س ص45

2- محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر، المغرب ط2، 2007 ص63

أما ماركس فقد اعتمد علم الإنسان ليصوغ فكره صياغة تقوم على العمل وصراع الطبقات وليضع نظرياته الحداثية في النقد وليجعل الإنسان هو الإله الجديد في فكره ومنهجه، وفي نفس الصدد أكد رندل على أنه حتى عصر هيغل ظل النشاط العقلي يوجه البحث من خلال فلسفتين: الذاتية وهي إقامة المعتقدات على الخبرة الذاتية وثانيا الموضوعية وهي اعتماد الموضوعية في البحث عن الحقيقة وطرح العلوم الإنسانية على أنها تجسيد حقيقي للعقل ونشاطه وأخذ هذا البحث مسارين للبحث عن الحقيقة ، مسار يمضي إلى القرن العشرين ويجعل اللغة مركزاً لهذه العلوم ومساراً يعود به إلى الجذور القديمة في الوثنية اليونانية وأساطيرها وفي جميع هذه الحالات كانت النظرة بعيدة عن التصور الإيماني والتوحد لله سبحانه وتعالى.<sup>1</sup>

"وعلاوة على ذلك" لو أردنا أن نتبع جذور الحداثة وأفكارها لوجدناها كلها في تاريخ اليونان والرومان، نبتت كلها في أحضان الوثنية وامتد أثرها في واقع أوروبا الفكري والأدبي.<sup>2</sup>

إلى جانب ذلك يؤكد هابرماس أن مصطلح حديث Modern استخدم لأول مرة في أواخر القرن الخامس ميلادي لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحياً على المستوى الرسمي عن الماضي الروماني الوثني.<sup>3</sup>

إضافة إلى ذلك يرجع جان ماري دوميناك ظهور الحداثة في التاريخ الأوربي إلى القرن الرابع عشر وأن مفهوم الحداثة لم يبرز إلا في العام 1850 على يد شارل بودليير حيث اعتبر أول من استعمل كلمة الحياة الحديثة وقد وصف ظواهرها في شعره وفي دراساته عن الفن في الصالونات أي معارض الفن التشكيلي التي كانت تقام في أيامه وكان يدرسها بعناية ويعتبرها ظواهر جديدة أو حديثة وقد أطلق على بودليير اسم الشاعر الحديث.<sup>4</sup>

إلا أن بعض الباحثين يؤكدون أن مصطلح الحداثة ظهر لأول مرة في أوروبا في إحدى المجالات اللاهوتية

1 - عدنان علي رضا النحوي ، تقويم نظرية الحداثة ، ط2، مرجع سابق ص 44

2 - المرجع نفسه ، ط1 ، ص88

3- بيتربروكر ، الحداثة وما بعد الحداثة ، ت عبد الوهاب علوب، منشورات الجمع الثقافي ، أبو ظبي، ط1 ، 1995 ص199

4 - أدونيس وآخرون، الحداثة في المجتمع العربي، دار بدايات، سوريا، دط، 2008، ص61.

عام 1892 في رسالة الأساقفة الوعظية المسيحية الجامعة لشمال إيطاليا بدأ تعبير الحديث مرادفاً لتعبير الآن في أواخر القرن السادس عشر وهو يعبر عن الفترات الزمنية التالية للعصور الوسطى والعصور القديمة وكانت الروائية حين أوستين تعرف الحديث بأنه حالة تغيير ربما إلى الأفضل لكن معاصريها في القرن الثامن عشر استخدموا تعبيرات يحدث حداثة حدثي ليعنوا به المعاصرة لكن سرعان ما غير الحديث معناه من الآن إلى الآن مباشر<sup>1</sup> و يقصد بأن الحداثة أصبحت رمزاً للحاضر الأكثر قرابة.

وهنا تم استرجاع الحداثة كعنوان لحركة ثقافية شاملة منذ العام 1950.

والحداثة في الفكر الأوربي تعرفها الموسوعة الشاملة بأنها تدل على التحضر وتعارض مع كل ما هو تقليدي وهي بهذا المعنى ليست مفهوم اجتماعي أو سياسي أو تاريخي بل إنها تعني دولة عصرية وتقنية عصرية.

وليست هناك نظرية للحداثة بل هناك منطق للحداثة وايدولوجيا للحداثة وأن الحداثة هي وعي بعصر ما، وترد الموسوعة الشاملة نشوء الحداثة الأوروبية إلى عام 1789 وهو العام الذي قامت فيه الثورة الفرنسية إلا أنها لم تأخذ معناها الكامل إلا في القرن التاسع عشر بحيث أصبحت عملية إيديولوجية واسعة، فالحداثة في نهاية القرن التاسع عشر أصبحت تفكك للبنىات وتغير وحلول وسطى ومن هنا فهي مفارقة وليست جدلية وبالتالي فهي نزعة للتغيير،<sup>2</sup> ويقصد من هذا أن الحداثة أصبحت تدعو إلى إضفاء طابع التغيير على كل ما هو ثابت.

ويرد مارشال برمان مفهوم الحداثة إلى اعتبارات من أهمها:

- أن الحداثة ظاهرة تفردت بها أوروبا.

- أن الحداثة انبثقت عن محتوى تاريخي يتلخص في عصر النهضة.

<sup>1</sup> - شاكرا النابلسي، الفكر العربي في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 2001 ص ص 331-332

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 333

والإصلاح الديني واختيار الشائبة التي اتصف بها الفكر التقليدي التي كانت تخلط بين العالم الحقيقي والوهمي وهو ما عرف بالتحديث ويعتبر بعض الباحثين الغربيين أن ماركس هو أبو الحداثة الأوروبية في الفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد،<sup>1</sup> إذ تسير الحداثة على نهج الماركسية في الثورة على المفاهيم السائدة في المجتمعات والثورة على كل ما هو قديم وأصيل وثابت من أمور العقيدة.<sup>2</sup>

في حين يعتبر آخرون بودلير هو أبو الحداثة الشعرية وربما رامبر أكثر حداثة من بودلير وقد يكون أول شاعر يمكن أن يطلق عليه اسم شاعر الحداثة.<sup>3</sup>

ومن خلال ما سبق قوله نستطيع طرح الأسئلة التالية:

هل يمكن اعتبار القرن التاسع عشر هو مبدأ ظهور الحداثة الفلسفية وتبلورها كما يرى ذلك بعض المفكرين؟ أم هو القرن الثامن عشر وهو ما يسمى بعصر الأنوار كما يرى آخرون؟ أم هو القرن السابع عشر كما ترى مجموعة ثالثة؟ أم هو قبل ذلك بدءاً من القرن الخامس عشر والسادس عشر؟ أم أنه من غير الممكن تقديم فترة زمنية باعتبارها مبدأ لتبلور أسس الحداثة الفلسفية.<sup>4</sup>

فالحداثة لم تنشأ في لحظة زمنية معينة وإنما ساهمت في نشأتها وتبلورها عدة لحظات أو مراحل تاريخية.

ولكن مهما يكن القول في ذلك فإن ما بات واضحاً لدى الباحثين أن الحداثة ترجع بجذورها إلى ديكارت وكانط في القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى وإن لم يكن ممكناً تحديد فترة زمنية لنشأة الحداثة إلا أنه من الممكن أن نلتمس جذورها التاريخية لدى كل من ديكارت وخاصة في كتابه مقال في المنهج والفيلسوف

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي ، الفكر العربي في القرن العشرين ، مرجع سابق ص333

<sup>2</sup> - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي ، الحداثة في العالم العربي ، مرجع سابق ص233

<sup>3</sup> - أدونيس وواخرون ، الحداثة في المجتمع العربي ، مرجع سابق ص62

<sup>4</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام ، مرجع سابق ص29

الألماني كانط في كتابه نقد العقل الخالص حيث جاءت الإشارة إلى المبدأ الأول من مبادئ الحداثة في كتاباته وهو الذاتية،<sup>1</sup> بمعنى اعتبار الذات مركزاً ومحوراً ومرجعاً لكل المعارف والحقائق والقيم،<sup>2</sup> وبهذا جعل الإنسان سيداً على ذاته ومالكا للعالم إذ يقول: كان من الضروري أن نطرح كل ما دخل عقلنا من معارف وشك في جميع طرق المعلم وأساليبه والأساس الذي نريد الوصول إليه هو العقل مجرداً خالصاً، ويقصد ديكارت بقوله هذا انه يجب علينا أن نختبر كل المعارف التي نتحصل عليها ونتحقق من صدقها عن طريق الشك معتمدين في ذلك على ملكة العقل.

إضافة إلى ذلك يقول "أنا أفكر إذا أنا موجود" ويعني بهذا أن الفكر هو الدليل على وجود الإنسان، تلك هي حقيقة مؤكدة خرجت من ذات الفكر إذن فأنا اتخذ هذه الحقيقة معياراً لكل حقيقة فكل فكرة تعرض لي بمثل هذا الوضوح اعتبرها صادقة وبهذا يكون ديكارت أول من دعا بوضوح لاعتماد الذات باعتبارها المصدر الأول للمعرفة والحقيقة،<sup>3</sup> ويقصد بذلك بان الذات هي معيار ومقياس الحقيقة الحقيقية أي الصادقة التي لا يطرأ عليها شك وفضلاً عن ذلك أشار إيمانويل كانط إلى أن المبدأ الثاني للحداثة الفلسفية يكمن في اعتماد العقل البشري بمعنى أن العقل هو المصدر الوحيد الذي نتحصل به على مختلف المعارف إذ يقول: أن الفكر بذاته حاصل على شرائط المعرفة وان الأشياء تدور حوله لكي تصير موضوع إدراك ولا يدور هو حولها كما كان المعتقد من قبل، كما أن ديكارت هو الذي أسس للمبدأ الثالث من مبادئ الحداثة وهو ما سميناه مبدأ الحركة الذاتية والتطور العام في الوجود.<sup>4</sup>

وانطلاقاً من هذا يمكن اعتبار هذين الفيلسوفين حسب ما يراه الباحثون الحداثيون أنهما حقاً قفزة نوعية في

1 - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص 29-30

2 - محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي ، ما بعد الحداثة ، دار توبقال للنشر، المغرب ط 1 ، 2007 ص 37

3 - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص 30

4 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

الفكر العربي من خلال تأكدهما على الذات والعقل، لقد دعي ديكرت أبو الفلسفة الحديثة واعتبر حدا فاصلا بين القديم والحديد في تطور الفكر الأوروبي إضافة إلى كانط الذي يشطر الفلسفة الحديثة إلى شطرين فقد أدى تفكيره إلى وجهة جديدة سيطرت على القرن التاسع عشر،<sup>1</sup> وبهذا يمكننا اعتبار ديكرت هو بطل الحداثة ورائدها، فلسفة ديكرت هي تجسيد للتحويل الذي ميز مطلع العصر الحديث وجعل من الذات هي المركز.

وإذا مضينا مع هذا التصور القائل بأن ديكرت وكانط هما رواد الحداثة الفلسفية فإن هناك فلاسفة آخرون ساهموا في وضع البناء الفوقي للمنهج الحداثي الفلسفي وكانت لهم جهود في تحويل الحداثة من إشارات جاءت في كلمات ديكرت وكانط إلى رسم الهيكل الكامل للمنهج الحداثي وبلا شك أن فلاسفة مثل هيغل وهايدغر وليم جيمس وجون ديوي و شلايرماخر... إلخ كانوا على رأس قائمة هؤلاء الصناع للهيكل الحداثي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص31

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

## الأسس الفلسفية للحداثة:

هناك ثلاث أسس فلسفية للحداثة:

الأساس الأول: ويتمثل في محورية الإنسان (الذاتية، النزعة الإنسانية )

الأساس الثاني: ويتعلق بالعقل الحسي باعتباره مصدر المعرفة (العقلانية)

الأساس الثالث: ويكمن في الحركة وقانون التطور العام في الوجود.

## 1- النزعة الإنسانية:

قد يطلق على هذا المبدأ الذاتية ويطلق عليه الفردانية كما يطلق عليه النزعة الإنسانية وفي جميع هذه التعابير

إشارة إلى معنى واحد وهو يعني مركزية ومرجعية الذات الإنسانية وفعاليتها وحريتها وشفافيتها وعقلانيتها.

والنزعة الإنسانية هي كل نظرية أو فلسفة تتخذ من الإنسان محوراً لتفكيرها وغايتها وقيمتها العليا ويعرفها

هيدغر أكبر فلاسفة الحداثة بقوله: " هي ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفسر ويقوم كلية الوجود

انطلاقاً من الإنسان وفي اتجاه الإنسان"، بينما كتب في نص آخر " أنها تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في

مركز الكون عن قصد ووعي وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية للوجود إمكانية تحرير قدراته وتأمين حياته

والاطمئنان إلى مصيره"<sup>1</sup> ، وعليه الإنسان أهم كائن في العالم الطبيعي ومعيار الأشياء جميعاً.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام، مرجع سابق ص16 و ص ص 40،41

<sup>2</sup> - محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي ، الحداثة ، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط3 ، 2008 ص10

ومن جهة ثانية فالإنسان ذاته هو العامل الفاصل في التطور والتحضر، إنه سيد قدره معتمدا قواه وإمكاناته الذاتية.<sup>1</sup>

وقد حاول هابرماس تفصيل ما يعنيه هذا المفهوم بشكل أوسع في أربع دلالات تبعا لهيغل:

**1- الفردانية:** وتعني أن الفردية الخاصة جداً هي التي لها الحق في إعطاء قيمة لادعائها.

**2- الحق في النقد:** ويعني أن مبدأ العالم الحديث يتطلب تقبل الفرد فقط ما يبدو مبررا ومقنعاً.

**3- استقلالية الفعل:** فمن خصائص العصور الحديثة تهيؤها لتقبل ما يفعله الأفراد والاستجابة له.<sup>2</sup>

**4- الفلسفة التأملية ذاتها:** فمن خصائص العصور الحديثة أن الفلسفة تدرك الفكرة التي تحتاز وعيا بذاتها.

ويرى هيغل أن مبدأ الذاتية بدلالاته المختلفة قد فرضته الأحداث التاريخية الكبرى: الإصلاح الديني، الأنوار، الثورة الفرنسية، فمع الإصلاح البروتستانتي لدى لوثر\* أصبح الإيمان الديني مرتبطا بالتفكير الشخصي وكان العالم القدسي قد أصبح واقعا مرتبطا بقرارنا الشخصي فهذا الإصلاح قام على التأكيد على سيادة الذات وأبرز قدرتها على التمييز والاختيار باعتباره حقا من حقوقها. في حين كان الإيمان التقليدي قائما على ضرورة الإلتحاق والخضوع للقوة الآمرة للتراث والتقليد، كما أن الثورة الفرنسية وإعلان مبادئ حقوق الإنسان قد فرضت مبدأ حرية الاختيار بمقابل الحق التاريخي المفروض كقاعدة أساسية للدولة،<sup>3</sup> ويقصد من هذا أن كل هذه الأحداث أكدت على أولوية الذات ومركزيتها. هكذا أصبح مبدأ الذاتية مبدءاً محدداً في كل مجالات الفعل ومحدداً في كل أشكال الثقافة الحديثة، فالحق والأخلاق أصبحتا قائمين على الإرادة الحالية الحاضرة

<sup>1</sup> - محمود نسيم، فجوة الحداثة العربية، دار الحريري للطباعة، دم، د ط ص 108

<sup>2</sup> - صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحداثة، مرجع سابق ص 41

\* - لوثر: مصلح ديني مسيحي ألماني شهير يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي، المرجع نفسه ص 43

<sup>3</sup> - محمد سيلا، مخاضات الحداثة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان ط 1، 2007، 23

للإنسان، في حين أنها كانت من قبل مدونة ومملاة على الفرد كما أصبحت الذاتية أساس المعرفة العلمية التي تكشف أسرار الطبيعة بقدر ما تحرر الذات العارفة والطبيعة تصبح جملة قوانين شفافة ومعروفة من طرف الذات.<sup>1</sup>

أما الدكتور عبد الرزاق الداوي فقد حاول شرح مفهوم النزعة الإنسانية بأنه:

1- كل فلسفة تهتم بالإنسان وتحصنه بمكانة ممتازة في العالم وفي تطور التاريخ وفي سيرورة المعرفة وتعتبره قادرا على المبادرة وعلى الإبداع.

2- تؤكد على أولية الوعي والإرادة في كل مشروع تأسيسي.

3- تنطلق من الذات والذاتية للبحث عن شروط تأسيس للموضوع والموضوعية.

4- تؤمن بأن المبادرات البشرية تساهم في صناعة التاريخ وان التاريخ يحقق نوعا من التقدم وأن لذلك التقدم اتجاهها ومعنى مرتبطين بفعاليات وأهداف البشرية.

وعليه فالإنسان أو الذات سيكون هو المرجع النهائي لكل أشكال المعرفة كما لكل المواقف والقرارات، فالدين والأخلاق والدولة والتاريخ والحياة والفن والأدب والحق والقانون وحتى الطبيعة والكون كلها يجب أن تمر عبر الإنسان وحرته ووعيه وجهده، الأمر الذي نستطيع رسمه بما يلي:

- لا سلطة فوق الذات

- لا سعادة الأمن خلال الذات

- لا حقيقة الأمن خلال معرفة الذات

<sup>1</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص ص 41،42

وهكذا يتحول الإنسان من وجهة نظر الذاتية إلى المقدس الأوحد في الوجود فلا شيء يعلو رأيه وحرية وسلطته وقراره فهو صانع القرار بل هو صانع الحقيقة وهذا ما دعا إلى ظهور مصطلح (موت الإله) حيث عاد الإنسان نفسه يحتل موقع الإله بلا منازع.

مما سبق يتضح لنا بان الحداثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأ الذاتية، بمعنى أن الذات أصبحت مقدسة وأصبحت المركز في كل مجالات المعرفة.

والدلالة الأكبر لمبدأ الذاتية تعلن على يد بعض فلاسفتها أن الوجود كله ما هو إلا رؤية ذاتية للإنسان فنحن لا نلمس الوجود ولا نراه، وليس هناك وجود إنما هناك تفسيراتنا وقراءاتنا للوجود أو ما يظهر على عدسة ذاتنا لا غير، يقول نيتشه: جميع الظواهر عبارة عن تأويلات ولا توجد هناك على الإطلاق أي ظاهرة في حد ذاتها، ويعني أن كل الظواهر تخضع لقراءة.

ويقول شوبنهاور: كل هذا العالم لا يكون موضوعاً إلى بالنسبة للذات ولا إدراكاً إلا بالنسبة لمدرک أي لا بد أن يكون تمثلاً، فكل شيء ينتهي أو يمكن أن ينتهي إلى العالم يرتبط حتماً بهذا الشرط شرط التوقف على الذات ولا يوجد إلا من خلال الذات، فالعالم تمثل،<sup>1</sup> وتحقيق الذات هو نقيض خضوع الفرد لقيم تتجاوزته.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - صدر الدين القباجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص45، ص46 ، ص52

<sup>2</sup> - آلان تورين ، نقد الحداثة ، أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة، 1997 ص277

العقلانية:

السمة الأساسية الملازمة للذاتية هي العقلانية وما دار مدارها من "عقل" و"تعقيل" و"استقال" و"فكر" و"تفكير" و"تمثل" و"نظر" و"منطق" وذلك من حيث أن شعار الحداثة كان بدءاً: "لتكن لديك الشجاعة على أعمال عقلك"<sup>1</sup>

مبدأ العقلانية أو العاقلية من مبادئ الحداثة، بهذا المبدأ عرفت وإليه نسبت وما زال الاعتقاد بهذا التشاكل والتناسب راسخاً حتى سوى بينهما فليل: إنما الحداثة العقلانية ذلك أن هيغل رأى أن من شأن الأعمال أعمال الإنسان الحديث لأول مرة في تاريخ البشرية، النظر في الآفاق وفي نفسه إن عمل هو على إزالة غربة الذات في الطبيعة، وخلق بينهما ألفة وأنسة، فعنده أن روح الإنسان الحديث صارت تعرف باب الطبيعة لا بد أن تشتمل في ذاتها على العقل، لان الله إنما خلقها عاقلة وأنشأها متعلقة، ولذلك فهي تتيقن بأنها لا محالة واجدة نفسها في العالم متألفة معه، وأنه لا بد من صاحب لها صحبة الصاحب للصاحب.<sup>2</sup>

وهكذا فإنه بعد سيادة العبث والسدي وترك العالم نهباً للصدفة والهوان كما كان الحال عليه في العصور الوسطى، ما هو العقل كما يقول هيغل في كتابه فينومينولوجيا "الروح ينصب رأيه على كل القمم وفي كل الهاويات علامة على سيادته"، وما زال الإنسان الحديث بفعل ينظر ويتأمل ويسيطر سلطته ويتسيد حتى خيل [للناس من أوائل المحدثين] وكأن الله أنشأ الشمس والقمر والنجوم والنبات نشأة جديدة: هذا مفهوم العقلانية أو العاقلية تاريخه يبدأ بديكارت ذلك انه منذ تحديد ديكارت للعقل بما هو افكار متعلقة صار العقل يحدد كنه الإنسان الحديث، وصار الإنسان يحدد بكونه ذاتا عاقلة وكان أن حدد لبينتنز الإنسان بما هو الكائن المستعمل أي الموجود الدنيوي الوحيد الذي من شأنه وحده أن يبرز وجود الأشياء وصيوغه ويعلله، فكان أن

<sup>1</sup> - محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1، 2008 ص24

<sup>2</sup> - المرجع نفسه الصفحة نفسها

صير على تصور ما من أمر من أمور هذا العالم فاقد لمعقوليته أي لأساس وجوده - ألا وهو ليس بشيء يعتبر، وذلك أصل مبدأ الاستعقال ومنشؤه.<sup>1</sup>

إضافة إلى ذلك فإن العقلانية : تعني إخضاع كل شيء لقدرة العقل التي هي بحث دؤوب عن الأسباب والعلل، ومن ثم الارتباط الحميم لمبدأ السبب أو العلة لمبدأ العقل وهذا المبدأ عبر عنه ليبنتيز كذلك بصيغة تقول لا شيء بدون علة ويفضله يصبح كل من الواقع الطبيعي والواقع التاريخي معقولاً أو عقلانياً أو قابلاً للتفسير بالنسبة للذات هكذا يصبح كل شيء مفحوصاً ومفهوماً بل محكوماً من طرف العقل وعبره يتحقق الإنسان من سيادته النظرية على العالم الذي يغدو شفافاً وخالياً من الأسرار.

هذه العقلانية الحسابية الصارمة أو الأدوات سواء في مجال المعرفة العلمية والتقنية أو في مجال الإدارة والتسيير هي شكل من أشكال السيطرة والقوة، ومن ثمة ارتباط العقلانية بالسيطرة سواء تعلق الأمر بالسيطرة الكوكبية للتقنية المنفلتة من عقالها أو بالنزعة الكليانية السياسية، إن العقلانية الأدوات سيطرة على الطبيعة عبر السيطرة على الإنسان، وسيطرت على هذا الأخير عبر السيطرة على الطبيعة بواسطة التقنية، فالحداثة في عمقها مشروع تندغم فيه بصورة رفيعة إدارة الهيمنة بإدارة التحرر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل، مرجع سابق ص25

<sup>2</sup> - محمد سيلا ، الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق ص19

## العدمية:

إذا كان ديكارت هو أول من صاغ مبدأ الذاتية وكان لينتز أول من عرض مبدأ العقلانية فإن نبيشه هو أول من ذكر مبدأ العدمية ويقصد بهذا المبدأ انه "لا قيمة للقيم" أي إن ما كان في العصور السالفة مبادئ راسخة ثابتة ومثلاً عليا سامية صار مع مجيء عصر الحداثة عدماً أفقد القيم كل معنى أو حقيقة، والحق أن حركة التنوير قد استبقت نبيشه إلى تقرير مبدأ العدمية وكان ذلك من خلال كشفها عن أساس المثل الدينية والقيم الأخلاقية والمبادئ السياسية فعزتها وأبانت تهافتها وهي باستبانها لذلك، لم تقم في الحقيقة إلا بهتك المحجوب، وفضح المستور، نقصد الميتافيزيقا التي تكفلت في الماضي بضمآن قيمة القيم، إذن أصبحت العدمية دليلاً على افتراس العدم للأخلاق والدين.<sup>1</sup>

غير أن جديد نبيشه هو وصفه عدمية الأزمنة الحديثة بالعدمية الناقصة وهو يبرر ذلك بما لاحظ على الفلسفة الحديثة من محاولات البحث عن قيم جديدة تعوض بها القيم المنهارة، نتيجة أقول عالم الآلهة وإحساس الإنسان الحديث بالتقلب والتبدل الدائمين وفقدانه لمرجع ثابت يستند إليه وحتى يتجاوز نبيشه هذا التردد قال بالعدمية الكاملة أو النشيطة يقصد تلك العدمية التي لا تحفل باختيار القيم القديمة أو تنزعج لفقدانها، وإنما هي تقول في مبدئها لقد انهارت القيم القديمة هذا أمر غير مأسوف عليه لنضع لأنفسنا قيماً جديدة أخرى غير القيم الميتافيزيقية.<sup>2</sup>

ومن زاوية أخرى:

يطلق على هذا المبدأ غياب المعنى وانتفاء المقاصد الغائية الكبرى التي كانت تشد وتزيد العالم التقليدي، فنتيجة اكتساح ثقافة الحداثة لكل القطاعات الاجتماعية، وعقلنتها لكل مستويات الوجود الاجتماعي هي خسوف

<sup>1</sup> - محمد الشيخ، ياسر الطائري - مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط 1، 1996 ص 14

<sup>2</sup> - المرجع نفسه الصفحة نفسها.

المعاني الكبرى أو بتعبير ماكس فيبر افتقاد العالم لسحره ورغم أن هيدغر يستعمل مصطلحا آخر للتعبير عن نفس الفكرة فإنه يحمل في النهاية هذه السمة في لفظ العدمية، ويعني بها افتقاد القيم العليا لقيمتها وغياب الأهداف الكبرى، وانعدام الجواب عن السؤال البسيط لماذا؟ والعدم المعني هنا حركة تاريخية أصيلة وليست رأياً لهذا الفرد أو ذاك وليس حتى ظاهرة تاريخية بين ظواهر أخرى بل هو بالأحرى في جوهره الحركة الأساسية في تاريخ الغرب الحديث وغياب المعنى الملازم للعصور الحديثة، ليس سمة منعزلة بل هو الوجه الآخر لانتصاب الذاتية معياراً ولظفر العقلانية الأدبية التي تشكل عالماً مروضاً، ولانفلات العلم التقني وتحوله على أداة سيطرة على الطبيعة والإنسان لدرجة يبدو معها أن غياب المعنى ناتج عن الطابع النهائي الحاسم لبداية الميتافيزيقا الحديثة.<sup>1</sup>

ولعل النعوت التي تطلق على عصرنا هذا، عصر الموضه، عصر الفراغ، عصر التفاهة والمهشاشة تعكس صدى هذه السمات والتي وازت في نشأتها تبلور مفهوم الحداثة نفسه، كما نجد ذلك لدى الشاعر الفرنسي بودلير الذي يعرف الحداثة "بأنها ما هو عابر وقرار وعارض".

إلا أن هذا الفراغ الناتج عن غياب المعاني الكبرى غالباً ما يتم ملؤه باستكشاف تاريخي وسيكولوجي للأساطير.

وباستثمار أفانيم جديدة كالإيديولوجيات اليوتوبية الكبرى الواعدة بالسعادة والحرية والمساواة والأبطال الجماهريين لهذا العصر كأبطال الرياضة والموضه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محمد سيلا، مخاضات الحداثة، مرجع سابق ص25

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص25- ص26

## خلاصة:

بناء على ما سبق يمكن القول بأن موضوع الحداثة من المواضيع المهمة والحساسة ذلك أنه مطروح يوميا بين مختلف المجتمعات وفي العالم ككل وهو يشير إلى ما هو حديث ويرفض كل ما هو تقليدي ثابت وقديم، وعليه فالحداثة مشروع يرمي إلى تطوير المجتمعات في جميع النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومن مبادئها الذاتية حيث أصبح الإنسان هو المركز والمحور إضافة إلى مبدأ العقلانية باعتبار العقل مصدر كل المعارف، أما ثالث مبدأ فيطلق عليه العدمية الذي افقد القيم كل معنى كانت تحتويه.

ملحق

نبذة عن حياة طه عبد الرحمن ومؤلفاته:

طه عبد الرحمن مفكر مغربي معاصر ، من مواليد 1944، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق، يعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في العالم الإسلامي منذ بداية سبعينات القرن الماضي، نال إجازة في الفلسفة من جامعة محمد الخامس بمدينة الرباط، واستكمل دراسته بجامعة السربون، حيث حصل منها على إجازة ثانية في الفلسفة.<sup>1</sup> تلقى دراسته الجامعية بالمغرب وفرنسا وحصل على دكتوراه السلك الثالث من جامعة السوربون سنة 1972 ببحث عنوانه "رسالة في البنى اللغوية لمبحث الوجود"، ثم على دكتوراه الدولة من نفس الجامعة سنة 1985 بأطروحة عنوانها "رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه"، أستاذ المنطق وفلسفة اللغة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، وأحد مؤسسي كتاب المغرب، بالإضافة إلى ذلك حائز على جائزة المغرب في العلوم الإنسانية لسنة 1988 على كتاب "أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، ولسنة 1995 على كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث"، له عدة مساهمات في المؤتمرات العلمية الوطنية والعربية والعالمية، وعدة دراسات ومؤلفات في المنطق والفلسفة واللسانيات والإسلاميات (علم الكلام وعلم أصول الفقه والتصوف) منها كتبه التالية:<sup>2</sup>

- اللغة والفلسفة 1977.

- المنطق والنحو الصوري 1983.

- في أصول الحوار وتحديد علم الكلام 1987.

---

<sup>1</sup> - صدر الدين القبانجي، الأسس الفلسفية للحدائثة، مرجع سابق، ص 22.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن - تعددية القيم - مرجع سابق ص 65

- العمل الديني وتحديد العقل 1989
- تجديد المنهج في تقويم التراث 1994
- فقه الفلسفة 1، الفلسفة والترجمة 1995.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي 1998.
- فقه الفلسفة 2، المفهوم والتأثيل 1999.
- حوارات من أجل المستقبل 2000.
- سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية 2000.
- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي 2002.
- تعددية القيم.
- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري 2005.
- روح الحدائثة (المدخل إلى تأسيس الحدائثة الإسلامية) 2006
- بؤس الدهرانية 2014.
- سؤال المنهج: في أفق تأسيس لأنموذج فكري جديد 2015.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولا - قائمة المصادر:

- 1- طه عبد الرحمن - في أصول الحوار وتحديد علم الكلام - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2- 2000.
- 2- طه عبد الرحمن - فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 - 1995.
- 3- طه عبد الرحمن - سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط3 - 2002.
- 4- طه عبد الرحمن - روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإنتمائية - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2- 2012.
- 5- طه عبد الرحمن - روح الحدائثة، المدخل إلى تأسيس الحدائثة الإسلامية - المركز الثقافي العربي، المغرب ط1- 2006.
- 6- طه عبد الرحمن - حوارات من أجل المستقبل - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1 - 2011.
- 7- طه عبد الرحمن - تعددية القيم - المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش ط1 - 2001.
- 8- طه عبد الرحمن - تجديد المنهج في تقويم التراث - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، دس.
- 9- طه عبد الرحمن - اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 - 1998.
- 10- طه عبد الرحمن - العمل الديني وتحديد العقل - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 - 1997.
- 11- طه عبد الرحمن - الحوار أفقا للفكر - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان ط1 - 2013.
- 12- طه عبد الرحمن - الحق العربي في الاختلاف الفلسفي - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2 - 2008.
- 13- طه عبد الرحمن - الحدائثة والمقاومة - معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، دم، ط1 - 2007.

## ثانيا - قائمة المراجع:

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم - الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى هيوم- دار الطباعة لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دس.
2. أدونيس وآخرون - الحداثة في المجتمع العربي - دار بدايات، سوريا، دط - 2008.
3. آلان تورين - نقد الحداثة - ت أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة 1997.
4. أميرة حلمي مطر - الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها - دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دط - 1998.
5. بيتر بروكر - الحداثة وما بعد الحداثة - عبد الوهاب علوب، منشورات المجتمع الثقافي، ابوظبي، ط1 - 1995.
6. توفيق السيف - الحداثة كحاجة دينية - الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1 - 2006.
7. جورج طراييشي - هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية - دار الساقى، بيروت ط1 - 2006.
8. شاعر النابلسي - الفكر العربي في القرن العشرين- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 - 2001.
9. صدر الدين القبانجي - الأسس الفلسفية للحداثة - دراسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت لبنان، 2010.
10. عبد الرزاق بلعقروز - أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي - منتدى المعارف، بيروت ط1 - 2013.
11. عبد الرزاق بلعقروز - السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت ط1 - 2010.
12. عبد المجيد خليفى وآخرون - قراءات في مشروع محمد أركون الفكري- منتدى المعارف، بيروت ط1 - 2011.
13. عدنان علي رضا النحوي - تقويم نظرية الحداثة - دار النحو للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض ط1 - 1992.

14. عدنان علي رضا النحوي - تقويم نظرية الحداثة - دار النحوي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض ط2 - 1994.
15. فتحي التريكي، رشيدة التريكي - فلسفة الحداثة - مركز الإنماء القومي، بيروت، دط - 1992.
16. فردين قريشي - تجديد الفكر الديني في إيران - مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ط1 - 2008.
17. فيصل دراج - ما قبل الدولة وما بعد الحداثة - أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 - 2011.
18. قاسم شعيب - فتنة الحداثة، صورة الإسلام لدى الوضعيين العرب - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 - 2008.
19. ماجد فخري - قادة الفكر، أرسطو طاليس المعلم الأول - الطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، دس.
20. محمد الشيخ - جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد - دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1 - 2005.
21. محمد الشيخ - فلسفة الحداثة في فكر هيغل - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1 - 2008.
22. محمد الشيخ، ياسر الطائري - مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة - دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1 - 1996.
23. محمد آيت حمو - أفق الحوار في الفكر العربي المعاصر - دار الأمان، الرباط ط1 - 2012.
24. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي - الحداثة في العالم العربي - دراسة نقدية، المجلد الأول، 1414.
25. محمد سبيلا - الحداثة وما بعد الحداثة - دار توبقال للنشر، المغرب، ط2 - 2007.
26. محمد سبيلا - مخاضات الحداثة - دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1 - 2007.
27. محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي - الحداثة - دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط3 - 2008.
28. محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي - ما بعد الحداثة - دار توبقال للنشر، المغرب ط1 - 2007.
29. محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي - الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور عربي إسلامي - دار توبقال للنشر، المغرب ط1 - 2006.

30. محمد شوقي الزين - إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف - الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط1-2008
31. محمد عابر الجابري- التراث والحداثة- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1 - 1991.
32. محمود نسيم - فجوة الحداثة العربية- دار الحريري للطباعة، دم، دط.
33. مطاع صفدي - نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة - مركز الإنماء القومي، لبنان دط - 1990.
34. ولد أباه، أعلام الفكر العربي - مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة - الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1 - 2010.

#### قائمة المعاجم:

- 1- أندريه لالاند - موسوعة لالاند الفلسفية - المجلد الثاني، دار عويدات، بيروت ط2 - 2001.
- 2- مصطفى حسيبه - المعجم الفلسفي - دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ط1 - 2012.
- 3- مراد وهبة - المعجم الفلسفي - دار قباء الحديثة للطباعة، القاهرة دط - 2007.

#### قائمة المجلات والدوريات

- 1- عبد الرزاق بلعقوز - المساءلة النقدية لأنماط العقلانية لدى أركون والجابري، نموذج طه عد الرحمن، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 16 ديسمبر 2012.
- 2- عبد السلام بن عبد العالي، الغربية والآخر، مقولات التحاور وإمكانات اللقاء ضمن المجلة الفلسفية، فضاء العقل والحرية أيس، دار الصحافة، القبة 2007، العدد 2 السداسي الأول.
- 3- محمد بومعيزة - معالم قراءة تجديد التراث عند طه عبد الرحمن - إشراف ساعد خميسي 2008 - 2009.

**خاتمة عامة**

إن اهتمام المفكر المغربي ومؤسس الدرس المنطقي طه عبد الرحمن بموضوع الحداثة الغربية والانتقادات الهامة التي وجهها إليها يعد من المشاريع المهمة في الثقافة العربية الإسلامية، إذ كشف عن مدى الجراءة الفلسفية التي يتمتع بها هذا الفيلسوف وعن اختلافه وتميزه عن غيره من الفلاسفة وعن مدى يقظته وشعوره بخطورة وتأزم الوضع الحضاري الذي تعيشه الأمة المغربية بصفة خاصة والعربية عامة.

فالحداثة في رأي طه عبد الرحمن تكمن في التجديد والتغيير حيث يرفض التبعية للآخرين وتقليدهم إما من جانب القول أو الفعل، وعليه فالحداثة جوهرها الإبداع والابتكار الذاتي، وفضلاً عن ذلك يؤكد طه عبد الرحمن على أنه لا يتعين علينا رفض الحداثة، وإنما يجب علينا أن نعيد النظر في هذا المفهوم حيث سعى جاهداً لبيان مناقضات حداثة الغرب، فالحداثة في منظوره مالت عن المقاصد والغايات التي كانت تسعى إلى تحقيقها حيث أكد هذا الأخير أن حداثة الآخرين أي الغرب التي وصفها بالمادية أضرت بالكيان الخلقي للإنسان وجعلته في مرتبة أو منزلة البهيمة، وتتجلى أضرارها في النقص العقلي إضافة إلى ذلك غلبت جانب القول على حساب الفعل، حيث أطلق على ذلك بالظلم القولي، وفضلاً عن ذلك أكد طه عبد الرحمن أن الحضارة الغربية الحديثة متأزمة معرفة ومتسلطة تقنية إذ جعلت من الإنسان مجرد أداة وظيفية لخدمة مصالحها وأرادتها بمعنى أنها بدل أن تجعله سيداً لها جعلته عبداً لها، لذلك فمن الواضح أن طه عبد الرحمن آلمه بشدة الوضعية أو الحالة المزرية التي انغمست فيها الأمة العربية الإسلامية ومفكرها الذين غرتمهم وجرفتهم الحداثة الغربية، وللهنوز بالأمة رأى في أخلاق الدين مسلماً آمناً لتأسيس حداثة معنوية خالصة يضاهي وينظر بها ما لدى الغربيين من تقدم وسبق لتخليص الإنسان من أوهام الحداثة وتخليص الحداثة من التشيء الذي وقعت فيه مميزاً بين واقع الحداثة الغربية إذ يعتبره تطبيق مشوه لها وروح الحداثة ومبادئها أو أسسها التي تكمن في مبدأ الرشد، وذلك يتجاوز حال القصور الذي يفضي بالإنسان إلى العجز وعدم القدرة على اتخاذ

القرارات الخاصة بالفرد دون مساعدة وإشراف الغير إلى حال الرشد الذي يميزه الجرأة والشجاعة في استخدام الفهم أو الفكر إضافة إلى مبدأ النقد الذي يبنى على تقديم الأدلة ثم بعد ذلك التسليم بالشيء، وفضلاً عن ذلك مبدأ الشمول الذي يؤكد فيه طه عبد الرحمن على ضرورة الخروج من مضائق الخصوصية إلى فضاء الكونية.

إذن الحل يكمن في نظر طه عبد الرحمن في هدم واقع الحداثة الغربية التي تسببت في فراغ أخلاقي رهيب والمطالبة بروح الحداثة لبناء حداثة إسلامية أخلاقية بديلة لحداثة الغير.

وفي الأخير يمكن القول أن طه عبد الرحمن فيلسوف مجدد، وجهته التميز والإبداع جلجل صوته في محاضراته وأعماله لرفض التبعية والتقليد والحث على الاجتهاد للالتحاق بالركب الحضاري وتمكين الأمة الإسلامية من كيفية التفاعل مع أفكار الغير وقلب وجهة نظر الإنسان العربي الذي كان يعيش بجسده بين ديار المسلمين بينما روحه وعقله في ديار الغربيين، وذلك من خلال الكشف عن مفاصل وآفات الحداثة الغربية